الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد

UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

الموضوع

النقد المنهجي عند محمد مندور من منظور مواطن الاختلاف و الاتفاق

إعداد الطالبة:

حلافي سارة

تحت إشراف الأستاذ:

أ.د عباس محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د مختاري زين الدين	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د عباس محمد	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
أ.م بن سنوسي هشام	جامعة تلمسان	ممتحنا

السنة الجامعية: 1440-1441 هـ/ 2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

إلى من كان رضاها من رضا الله

إلي من اختارها الله أما لي

أمي الحنون

إلى سندي و مصدر شجاعتي زوجي الغالي

إلى فلذة كبدي ابني

إلى أساتذتي الذين ساروا بي إلى درب العلم.

إلى زميلاتي ورفيقات دربي

و إلى كل من تمنى لي التوفيق

أقول أحبكم في الله و لكم

مني كل الشكر و الاحترام

شكر و عرفان

أشكر الله و أحمده على نعمه

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكثير إلى عائلتي الكريمة

وأتقدم كذلك بشكري ل إلى الأستاذ المشرف الذي أكن له كل

الاحترام والتقدير الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته

الأستاذ عباس محمد

و إلى كل من ساندني و لو بكلمة خير جزاهم الله خير الجزاء.

مقدمة

لقد حظي النقد الأدبي بمكانة واسعة لا حدود لها وقد قرن النقد بالأدب باعتباره مجال بحثه وكشفه لخبايا هذا الميدان و ذلك وفق دراسة متأنية و تفتيش في الأساليب و إبلاغ عما حسن و عاب، فإتباع الأول و اجتناب الثاني بناءًا على أسس و قواعد صحيحة ،و جاءت هذه الدراسة ملمة بأهم الجوانب التي حاولت النهوض بنقد علمي منظم ،و ذلك عند مختلف الشعراء و النقاد الذين حاولوا من قبل ومن بينهم محمد مندور و الذي يقصد به ذلك المنهج العلمي المنظم و الذي سماه بالنقد المنهجي ومن هنا نطرح الإشكال عن متى ظهر هذا النوع من النقد؟ وعند من ظهر؟ ومن هم النقاد الذين اهتموا بهذا الجانب؟ وهل طبقوه تطبيقا صحيحا؟ وهل توفرت هذه القواعد و الأسس عند الشعراء القدماء؟

ولهذا اخترت موضوع دراستي الموسومة بالنقد المنهجي عند محمد مندور من منظور مواطن الاختلاف و الاتفاق و استنباط هذه المواطن جاء بعد اطلاعنا على كتاب النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور.

و من الطبيعي أن نجد وراء كل موضوع دوافع تبعث الباحث للبحث فيه و قد كانت دوافعي بين الموضوعية و الذاتية.

فالموضوعية أرجعتها إلى نذرة الدراسات التي تتناول النقد المنهجي بصيغة مباشرة و الذاتية محبتي للأدب و دراسته لدى النقاد العرب من قديمهم إلى حديثهم.

و بناءًا على هذه المرتكزات تناولت النقد المنهجي قبل تطوره إلى أن أصبح يسلك طريقًا ممنهجًا ومن المصادر التي كانت أساسية في هذا البحث:

- النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة لمحمد مندور .
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري لطه أحمد إبراهيم، الذي تعتبر دراسته مرجعا ذا جهدٍ طيبٍ.
- و بعض الدراسات التي تصب أفكارها في هذا المجال و قد ذكرتها في أمّات المصادر و المراجع و هي:

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي .
- الوساطة بين المتنبي و خصومه لعبد العزيز الجرجاني.
- البيان و التبيين للجاحظ.
- الشعر و الشعراء لابن قتيبة .

وجعلت هذا البحث يشتمل على مدخل و فصلين.

يتكون المدخل من مجموعة من التعريفات في اللغة و الاصطلاح الخاصة بالنقد و المنهج و النقد المنهجي، وتناول الفصل الأول النقد المنهجي و بداياته و تضمن هدا الفصل مبحثين أولهما تاريخ النقد المنهجي و ثانيهما أهم رواد النقد المنهجي.

وأما فصل ثاني فخصصناه لمواطن الاختلاف و الاتفاق شمل ثلاثة مباحث أولها مواطن الاختلاف و الاتفاق عند الجاحظ، و ثانيها عند الآمدي و ثالثها عند محمد مندور.

و كلل البحث بخاتمة جاءت ملمة بأهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال هذه الدراسة

و انتهجت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي وفق متطلبات الموضوع ولا أدعي في هذا البحث السهولة فما من شيء يأتي بالسهل فلابد من وجود صعوبات تقف في طريقنا و بفضل قوة الإيمان و مشيئة من الله نتجاوزها.

وأختم بشكر الله سبحانه و تعالى و شكر و بعد الله فشكري لأستاذي المشرف أ.محمد عباس الذي وجدت فيه الأب الروحي الذي ساعدني بالتوجيه و الإرشاد المنهجي و التصويب و التصحيح فجزاه الله خير الجزاء.

الطالبة : سارة حلافي.

تلمسان يوم:16ذوالقعدة 1440هـ

الموافق:19جويلية 2019

مدخل

لقد عرف المجال الأدبي عدة أعمال أدبية و فنية سواء كانت شعرية أو نثرية، نابعة من جهود أدباء و شعراء، و هذا عبر مختلف العصور و الأزمنة و حتى الأوطان، و هذا مما أدى إلى ظهور نوع آخر و هو أقرب من العلم و من الفن، و هو النقد ولم يختص هذا الأخير بالمجال الأدبي فحسب، بل تعداه إلى السياسة و الفلسفة ومختلف المجالات الأخرى ، ويختلف بمعاييره و أحكامه باختلاف الفن الذي يمارس فيه النقد.

إلا أن جل الباحثين و الدارسين قد حصروا هذا المصطلح في المجال الأدبي، أكثر من المجالات الأخرى، بحيث جعلوه ملازما لنشأة فنون الأدب و معاصرا له منذ الطفولة، إلا أنه لا يجوز لنا الوقوف عند هذا الحد، و ننسى الشخص الذي يقوم بمادة النقد أو انتقاد الفنون، و الأعمال فهو يسمى "ناقدا" و هذا الأخير مقيد بشروط موضوعية، و بقوانين لازمة عند الحكم على العمل وذلك عن طريق التفسير و التحليل و التعليل والتقويم، ويشترط في الناقد الموهبة النقدية والنظرة الثاقبة، التي بها يميز العمل الجيد من الرديء والكفاءة ونعني بها الثقافة الواسعة في مختلف الميادين و الإنصاف في إصدار أحكامه و التي تكون مبنية على أسس علمية لا عاطفية(فلابد للناقد أن يكون ثاقب النظر ،سريع الخاطر، مهذب الذوق، قادرا على المشاركة العاطفية (التعاطف) مع الأديب و البراءة من المؤثرات التي تفسد عليه أحكامه، ليتيسر له الإنصاف و الحكم الصحيح) [1] أي يكون له القدرة على إعادة قراءة التراث الأدبي.

فالناقد يجب أن يكون ناقدا بصيرا ،وعالما خبيرا ،و متنوع العلوم والثقافة، معتمدا على عامل الإحساس و التذوق في الشعر، دون ترك سبيل لما يؤثر عليه بالسلب، أما النقد من ناحية المفهوم فنعني به لغتا ،عند ابن منظور في كتابه لسان العرب"نقد:النقد خلاف النسيئة،والنقد و التنقاد: تمييز الدراهم نقدا أعطاه فانتقدها أي قبضها ، و الدرهم نقد أي وازن جيد،و ناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر،ونقد الشيء ينقده نقدا إذا نقره بإصبعه كما تنقر الجوزة. و نقد أرنبته بإصبعه إذا ضربها ونقد الطائر الفخ ،ينقده بمنقاره أي ينقره ونقد الطائر الحب، ينقده إذا كان يلقطه واحدا واحدا ،ونقدته

[1] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط10، 1994، الصفحة117(بتصرف)

الحية لدغته"[2] وفي هذا التعريف نلاحظ أن مصطلح النقد قد تميز بعدة ميزات وهي: التمييز الإعطاء ، القبض، المناقشة، النقر، الضرب، اللقط، اللدغ، كما نجدها في بعض المواقف تستخدم بمعنى العيب ، و يظهر ذلك جليا في قول أبي الدرداء "إن نقدت الناس نقدوك و إن تركتهم تركوك ،أي بمعنى عابوك"[3] و يقصد بالعيب ما يستقبح ، أي ما يقال في الشيء من صفات تدل على نقص فيه و إظهار لمساوئه، أو رأي في الحكم على قضية ما،من زاوية ضيقة و بالتالي نقول أن التعريفين السابقين على صفات النقد عند العرب،و أن النقد جاء لتبيان العيوب إلا أننا نستعملها(بمعناها الواسع وهي تمييز الجيد من الرديء)[4] لأن النقد لا يكتفي بتشخيص العيوب فقط، بل يتطرق أيضا إلى تقدير العمل و تذوقه بالحكم عليه بالجودة أو القبح .

أما النقد في الاصطلاح:

"فهو عملية أدبية عنى به القدماء و أرجعوا إليه الحكم على الكلام ، قال ابن سلام:و للشعر صناعة و ثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم و الصناعات"[5] ليتضح لنا أن النقد ليس وليد اليوم بل الأمس مما يدل على أن النقد قديم قدم الآداب ،أما بالنسبة لشعر فهو نتاج مهارة نمت في الأذهان لتتكون من أفكار متناسقة ،و لفظ ومعنى ، و أساليب و قوافي تليق به ونفهم من هذا القول إن النقد تابع للشعر.

و قال البغدادي "النقد و العيار غامضان: وهما صناعة برأسها ، وهي غير العلم بغريب الشعر و لغاته، و معانيه، و إعرابه، و قوافيه، و أوزانه وهي ممتنعة إلا على أهلها الذين صحت طباعهم وصفت قرائحهم، و اتقدت أذهانهم، وافنوا أعمارهم في خدمتها"[6] فالنقد يمكن له أن يتخذ صفة

[2] ابن منظور ،لسان العرب،دار الصادر،ط4، بيروت، 2005، الصفحة 334

[3] احمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت،1967، الصفحة17

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها (بتصرف)

[5] احمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، ط1، الجزء 1، بغداد، 1989، الصفحة 410

[6] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الخشونة ،و ذلك بالنسبة للذي لا يعرف من أين يبحر في عالمه ،أما بالنسبة لأهله فهو لين بفضل طبعهم و طبيعتهم التي جبلوا عليها وعصارة فكرهم.

ويضيف ابن سلام الجمحي مستكملا تعريفه السابق أن "الصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد و منها ما يثقفه اللسان"[7] و كأنه يوصي بضرورة الإحساس و الذوق، و ذلك بالفحص الدقيق و المتأني و المعاينة التي لا تخلو من الحواس، فهي التي تكشف المهارات كالقافية و الموسيقى و عن براعة الألفاظ "و في إطار المحاولات المتكررة لإيجاد مفهوم اصطلاحي للنقد، لا مندوحة لنا في هذا المقام من الإشارة إلى الطبيعة الحركية للنقد"[8] ويقصد بها المراحل تطور النقد، التي مر بها بدايتا من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، ويقول في هذا الأمر محمد زكي العشماوي"فليس من العلوم الإنسانية علم هو أسرع في التطور، وأمضى في الحركة و أبعد من الثبات و الجمود من النقد الأدبي"[9] ففي رأيه النقد كان سريع التطور، رغم أن تطوره كان على مر العصور و الأزمنة و ذلك راجع إلى تفرغ العلماء، إلى هذا الجانب لأنه كم أشرنا سابقا أنه كان تابعا إلى الشعر، و مختصا فيه و أرجعها إلى "ارتباطه بالأدب الذي هو أحد الفنون التي لا تعرف الثبات و لا الجمود"[10] لأن الأدب ظهر قبل النقد، و لولا وجود الأدب لما وجد النقد ،لأن قواعد هذا الأخير مستنبطة من دراسة الأدب، و نعني بالأدب هو ذلك الإبداع الذي يشمل كل أصناف الفنون باعتباره مجالا واسعا لا حدود له.

ويقول أحمد شايب عن العلاقة التي تجمع الأدب بالنقد في كتابه أصول النقد الأدبي "يبدأ النقد وظيفته بعد الفراغ من إنشاء الأدب، فالنقد يفرض أن الأدب قد وجد فعلا ثم يتقدم لفهمه و تفسيره و تحليله و تقديره و الحكم عليه بهذه الملكة المهذبة أو الملهمة التي تكون بملاحظتها قيمة ممتازة

[7] محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، الصفحة36

[8] بن فرحات إدريس، العيد جلولي، مفهوم النقد و خصائصه عند عبد السلام مسدي، مجلة الأثر، اللعدد26، سبتمبر2016، الصفحة172

[9] محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد، دار النهضة العربة،بيروت، الصفحة 136

[10] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

و آثارها محترمة"[11] فهو يحدد وضيفة النقد بنهاية بناء الأدب،بحكم ضرورته فبه ينهض النقد بالفهم والتفسير و التحليل و التعليل و التقدير ومن ثم الحكم عليه بالجودة أو القبح.

و يعرف النقد الأدبي في موضع آخر "النقد الأدبي في الاصطلاح هو تقدير النص الأدبي تقديرا صحيحا و بيان قيمته و درجته الأدبية "[12] فالتقدير يقوم بتقييم الأعمال الفنية بحسب الأدباء و كفايتهم لا بحسب كثرة شعرهم و انتمائهم كما فعل بعض الشعراء.

ومع اختلاف هذه التعريفات للنقد الأدبي، يبقى النقد مرتبطا بالتمييز و بالتالي وجوب الملاحظة ليخرج إلى وضيفته لنوضح أكثر بهذا القول" قال ابن سلام وقال قائل لخلف* إذا سمعت أنا بالشعر و استحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت و أصحابك فقال:له إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف أنه رديء هل ينفعك استحسانك له؟ و كان ممن هجن الشعر وأفسده"[13]فالنقد لا يتحدد إلا بوظيفته و هذه الوظيفة هي التي تحدد ماهيته.

ثم نذهب إلى تعريف محمد مندور للنقد"فن دراسة الأساليب المختلفة و هو روح كل دراسة أدبية إذا صح أن الأدب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين لتثير لديهم بفضل صياغتها صورا خيالية أو انفعالات شعورية"[14] ونجد محمد مندور أيضا قد قرن النقد بالأدب و أعطاه سمة التمييز فبفضل الأدب تتحرك الأحاسيس لتولد نقدا بخاصية فنية وذوقية.

وفي تعريف آخر للنقد بأنه"المرآة الصادقة التي تعكس نواحي الجودة و الجمال أو الرداءة و القبح في العمل الأدبي " [15] فالنقد يفتح آفاق التمييز بعين ثاقبة النظر و كل هذا يأتي بفضل رزانة الناقد

---

[11] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، الصفحة 116

[12] أحمد شايب،أصول النقد الأدبي، الصفحة 116

*خلف بن حيان بن محرز البصري، المعروف بالأحمر أحد رواة الغريب و اللغة و الشعر و نقاده ، أخد الشعر عن حماد الرواية (ينظر معجم المؤلفين و معجم الأدباء)

[13] محمد بن سلام الجمحي،طبقات الشعراء، الصفحة 37

[14] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، مصر للطباعة و النشر و التوزيع،1996، الصفحة 14

[15] الحسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، مؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1996،الصفحة 24

و قدرته على توضيح الأفكار و الأحاسيس الغامضة، على حد تعبير أحمد أمين في وصفه للناقد "مستكشف أحيانا أرضا جديدة و هو أحيانا رفيق صديق يدلنا على جوانب غير منظورة من الأشياء التي نعرفها معرفة جيدة وهكذا يعلمنا أن نقرأ ثانية لأنفسنا بذكاء أعظم، و بتقدير أعمق"[16] لأن الناقد الصحيح لا يكتفي بتلك القراءة العادية، بل يعتمد على القراءة النقدية التي تجمع كل القراءات ففيها ،إبداء رأي في النص الذي يتناوله ،و بطبيعة الحال سيتطرق إلى المناقشة و التحليل و غيرها من المرتكزات، وهناك يرى أن "النقد الأدبي هو أحد الملكات الثلاث في عالم الأدب،التي تلي ملكتي الإنتاج و التذوق"[17]وعلى ذكر الذوق فإنه يعتبر "وسيلة النقد الأدبي و أداته و هذا صحيح إذا كنا نفهم الذوق على أنه خلاصة العوامل الفطرية و المكتسبة التي يقوم عليها نقد الأدب"[18] فبذوق تعرف جمال النص ورداءته فهو وليد الإنسان و بثقافته ينمو و بتمرنه يستقيم وكل هذه التعاريف كانت عند نقاد المشرق العربي أما النقد عند نقاد المغرب العربي فيقصد به عبد الملك مرتاض نوعان من النقد"إن النقد النظري يبحث في أصول النظريات، و في جذور المعرفيات و في الخلفيات الفلسفية لكل نظرية و كيف نشأت، على حين أن النقد التطبيقي إنما يكون ثمرة من ثمرات النقد النظري الذي يزوده بالأصول و المعايير و الإجراءات و الأدوات و يؤسس له الأسس المنهجية التي يمكن أن يتخذ منها سبيلا يسلكه لدى التأسيس لقضية نقدية[19] بمعنى أن النقد أصبح يهتم بالنظريات المعرفية و الفكرية من أجل إنارة ذلك الظلام الذي يسلطه الغموض على النص الأدبي .

أما بالنسبة للمنهج فقد يسلك الناقد أثناء قيامه بالعملية النقدية صوب الأعمال الأدبية والفنية طرقا و مذاهب مختلفة، في فهمه و تفسيره و تقويمه ليكشف به عن كل ما هو أصيل،

وفني و معرفي و كل هذا لا يكون إلا وفق منهج يهتم بدراسة الأدب، و للمنهج مدلول لغوي و اصطلاحي.

---

[16] أحمد أمين، النقد الأدبي، الصفحة193

[17] خالد يوسف، قراءات و رؤى في النقد و الأدب عند العرب، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 1988، الصفحة17

[18] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، الصفحة 121

[19] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، بوزريعة، الجزائر، الصفحة 50

تعريف المنهج لغة"النهج:طريق، نهج:بين واضح،و هو النهج.ومنهج الطريق وضحه.و المنهاج كالمنهج.و انهج الطريق وضح و استبان، و صارت نهجا واضحا وبينا ونهج الطريق سلكه،و النهج هو الطريق و الأسلوب"[20]

ويقصد به الطريق و السبيل و المسلك و يقصد به الطريقة التي يسير عليها الباحث.

ويقول القاضي الجرجاني وهو يتحدث عن أنواع الشعر و أغراضه "فلكل من الأمرين نهج هو أملك به و طريق لا يشاركه الآخر فيه"[21] و هو يقصد أن لكل طريقته في نظم الشعر و هو حر في مساره.

ونستخلص من هذه التعاريف للمنهج ،أن الغرض من معنى المنهج هو واحد، وهو الإبانة و الوضوح و الطريق أو السبيل الخاص بكل شخص.

أما فيما يخص المدلول الاصطلاحي فالمنهج عند يوسف وغليسي يعني "جملة من الأساليب و الآليات الإجرائية الصادرة عن رؤية نظرية شاملة إلى الإبداع الأدبي و التي غالبا ما تنبثق على أساس فلسفي أو فكري ، يستخدمها الناقد في تحليل النص و تفسيره و بكيفية شاملة ،لا تتوقف فاعليتها على عتبة دراسة الجزء من الكل ،و إنما تتجاوز ذلك إلى النص في صيغته الكاملة شكلا و مضمونا وفي انتمائه إلى أي جنس أدبي "[22] أي يعتبره بمثابة مرسوم لخطة توضع بعد اتضاح الأفكار العامة للعمل الأدبي، و بالتالي تحديد الأهداف المراد الوصول إليها ولتحقيق ذلك يستوجب منهج.

والمنهج عند الجابري"المنهاج العلمي هو جملة من العمليات العقلية التي يقوم بها العالم من بدايته بحثه حتى نهايته من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها"[23] فهو عبارة عن مبادئ عقلية

[20] ابن منظور، لسان العرب،الصفحة 365

[21] أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم،ج2،الصفحة 419

[22] يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، دار البشائر،الجزائر، 2002، الصفحة 21

[23] محمد عابد الجابري، تطور الفكر الرياضي و العقلانية، دار الطليعة،ط2، بيروت، 1982، الصفحة16

،يعتمدها الباحث منذ العزم على الدراسة و تحديد الموضوع حتى بلوغه مبتغاه و في تعريف آخر للمنهج" الطريقة التي يسير عليها الدارس، ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب و قضاياه"[24] و هنا نجد أن المنهج أيضا مقترنا بالأدب، لأنه يتعامل مع المادة الفنية وبفضل قدرة الباحث عليه أن يصل أعماقه موظفا لملكاته.

"فالمنهج أيا كان نوعه و اسمه، يتبنى طريقة في التحليل و ليس تمت منهج دون أدوات إجرائية يعمل عليها، و العلاقة بين التحليل و المنهج لا تسمح بعزل أحدهما عن الآخر فهي علاقة تتضافر كلها من أجل تحصيل الخطاب "[25] ففي المناهج أنواع وكل و اسمه وكل له سبيله وفقا لخصائص تحكمه، لتسهل البحث على الناشئين و الاجتناب لأخطاء السابقين، و مادة البحث هي الأدب و ما يشتمل عليه سواءا كان شعرا أم نثرا (كل ما يحرك الأحاسيس).

و من خلال ما سبق نرى أن هناك علاقة بين النقد و المنهج ،فالنقد هو البحث عن حقيقة النص والبحث عن الحقيقة لا يكون إلا بوجود منهج، فهو بمثابة أداة إجرائية، تسمح للناقد تحليل النص وتفسيره.

ليتكون لدينا نقد منهجي و يقصد بهذا المصطلح الأخير"ذلك النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة و يتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها و يبسط عناصرها و يبصر بمواضع الجمال و القبح فيها "[26] لنفهم منه أنه ربط بين النقد و المنهج في إطار يعتمد على ثقافة الإنسان، وهذا ما عمل به شيخ النقاد محمد مندور في تناوله لقضايا النقد من خلال كتابه .

" و ذهب بعضهم إلى أن النقد هبة أو موهبة و إن كانت له شروط و أدوات و من أهمها:

---

[24] علي جواد طاهر، منهج البحث الأدبي، مكتبة النهضة، ط2، العراق، 1972، الصفحة 24

[25] منال بن قسيمة، قراءة في كتاب الفكر النقدي الأدبي المعاصر لحميد الحمداني، مذكرة ماستر،جامعة محمد بوضياف المسيلة،الجزائر،2016-2017، الصفحة4

[26] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، الصفحة 5

الأول: الابتعاد عن التحامل.

الثاني: التعليل.

و هذان من أهم أسس النقد المنهجي عند العرب و قد تجلى في كثير من الكتب"[27]

و هذا ما وجدناه يتجلى في كتاب الموازنة و الوساطة دون أن يهملوا احتكامهم إلى الذوق كونه "أساس كل نقد"[28] فالذوق لا يعتمد على منهج و هذا ما أوقع بعض الشعراء في الخطأ، بالرغم من أن لكل باحث طريقته في تذوق الأدب ،و الذوق ليس بسهل كما يخيل لنا بل يشترط التمرن عليه.

وكانت بوادر النقد المنهجي في أواخر القرن الثالث، عند ابن المعتز إثر تأثر المحدثين بإحدى نظريات ابن المعتز في كتاب "البديع" و كان له الفضل في تحديده لخصائص مذهب البديع، الذي كان مبدأ حركة النقد المنهجي، لكنه اتضح بشكل جلي في القرن الرابع كما أشار إليه محمد مندور عند الآمدي في كتابه "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري "،و عند القاضي الجرجاني في كتابه"الوساطة بين المتنبي وخصومه" كما اعتبرهما ركيزة هذا النقد المنهجي.

[27] أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، الصفحة 411

[28] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، الصفحة 11

الفصل الأول

النقد المنهجي و بداياته

قبل الدخول في غمار النقد المنهجي، علينا أن نعرج على تاريخ النقد الأدبي العربي كيف كان و لو بنبذة نذكر من خلالها أهم المراحل التي مر بها نقدنا الأدبي ،باعتباره قديماً قدم الإنسان بحيث كانت أولى ولادته عند الجاهلية، و كان النقد الأدبي في الجاهلية يعرف أيضا بالتهذيب"وهذا التهذيب هو النقد الأدبي"[1] كما عرف العصر الجاهلي بالتنوع في الأسواق، التي كانت تنصبها العرب، مثل عكاظ،ويثرب، ومكة، بالإضافة إلى المجالس الأدبية و التي كانت بمثابة مأدبة أدبية يتناولون فيها الشعر، من ناحية جماله و قبحه و كانت تمثل الإرهاصات الأولى للنقد العربي ،كما أنها ساهمت في اتساعه و انتشاره و كان النقد آنذاك يختص بالصياغة و المعاني، "فالصياغة و المعاني هي ما ينقد في الشعر في العصر الجاهلي وهي أهم ما يتصدى له النقد الأدبي في العصور الأخرى بل إن الشعراء أنفسهم حين كانوا يمتدحون بأشعارهم لا يجدون ما يصفونها به إلا جودة السبك و قوة المعنى"[2] وهذا دليل على اهتمام القدماء بصناعة الشعر من ألفاظ و معاني، فالجودة كانوا يراعونها في الكلمة أو في الصور بحيث يكون مجسدا للواقع ،و كان يمتاز النقد بكونه" علم وصفي يضع بين يدي الناقد الخبرة و الوسائل، التي يستطيع بها أن يميز بين الحسن من القبيح، و يحكم الحكم السليم، فالنقد إذا يتعرف و يصف ثم يحكم"[3] و الغاية من هذا الحكم هو التذوق بفطرتهم و إبداء آرائهم بالجودة أو القبح كما كان يهتم الشعر بجوانب أخرى وهي المدح و الهجاء و الغض من الخصوم لتقوية العلاقة بين الشعر و النقد واعتماده على الإحساس "يؤثر الشعر في النفس و على مقدار وقع الكلام عند الناقد، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا و العربي يحس أثر الشعر إحساسا فطريا لا تعقيد فيه و يتذوقه جبلة و طبعا"[4] فمن خلال هذا التعريف وما سبقه يظهر لنا بعض مظاهر النقد في العصر الجاهلي وهي البساطة، الذوق الفطري باعتباره أمر محتم و ملكة فنية لأن النقد لم يكن شائعا آنذاك ولم تكن تحكمه قواعد ينبغي مراعاتها."و كلاهما قائما على الانفعال و التأثر "[5]

[1] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، مكتبة الفصيلة، مكة المكرمة،2004،ص24

[2] المرجع نفسه، الصفحة 30

[3] محمد زغلول سلام،تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف الإسكندرية، القاهرة، 1986،ص18

[4] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري ، الصفحة31-32

[5] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، الصفحة 39

و بالتالي يمكننا القول بأن النقد لم يكن ينظر في الأدب مبتعدا عن التحليل و التعليل بل كان تأثريا و يعتمد على الطبع وبما أن النقد كان لصيقا بالأدب فإننا نجد أن "أفكار الشاعر أو الأديب هي لدرجة كبيرة وليدة بيئته"[6] لأنه كان يعبر عن صورة حياتهم و يعكس واقعهم و كان للذوق أهمية كبيرة في النقد آنذاك"فالذوق هو وسيلة النقد الأدبي و أداته "[7] فقد كانوا يعتبرونه معيارا أساسيا في الحكم و يعود هذا إلى طبيعة البيئة الاجتماعية التي كانت تأثر في نفسية الشخص ،بمعنى أن النقد كان يتماشى وفق ما عرفه العصر وما أحسوا به وما كان فيه أثر عليه و ما تذوقوه بطبعهم .

ثم جاء الإسلام ليزيل ما به شائبة و يترك ما هو مقبول، فقد لعب دورا بارزا في ارتقاء النقد الأدبي، بالابتعاد عن المؤثرات الجاهلية ،كما اهتم بالشعر و الشعراء و ما كانوا عليه من تناقض بين القبائل "المناقضات بين شعراء المدينة و شعراء مكة و غير مكة من الذين خاصموا الإسلام و ألبوا العرب عليه "و في محاولة منا في معرفة معنى المناقضات، فهي في الأصل كانت تقوم بين قبيلتين أو شاعرين ،وكانت تختص بأغراض الشعر و خاصة الهجاء و النسيب، مما ساعدت في نشأة النقد، كما اتسم هذا العصر كسابقه بالعديد من الشعراء، أمثال ابن رواحة و كعب بن مالك و حسان بن ثابت، وكان هذا الأخير من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم و كان يفضله عن سابقيه " الكلام كثير في استماع النبي لحسان بن ثابت و هي إيثار النبي لحسان، و في أن المسلمين كانوا يعتمدون اعتمادا حقيقيا على حسان في هذا الضرب من النضال "[8] فبرغم من أنه لم يكن من قائلي الشعر ولا من متعلمين الشعر ،إلا أنه لم يمنع النبي من أن يستمع إلى الشعر، كما أعجب به بل وشجع الشعراء عليه، ما دام مواكبا للحق فحسان بن ثابت كان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم و من شعراء المدينة المنورة و كان يدافع على الرسول و الرسالة الإسلامية وكان أسلوبه غني بجزالة اللفظ و فخامة المعنى الممزوج بالطبع الإسلامي و هذا راجع إلى اقتباسه لبعض الكلمات و المعاني من القرآن الكريم و السنة دون أن ننسى أن حسان كان من المخضرمين فقد كان نصف عمره من

[6] أحمد أمين، النقد الأدبي، الصفحة21

[7] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، الصفحة121

[8] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري ، الصفحة 42

الجاهلية و النصف الآخر كان في الإسلام مما ساعده في الجانب النقدي بين العصرين أو القبيلتين (و الدين نفسه مدين للأدب بتسجيل دعوته، وشعائره و الدعوة إليها و إذاعتها في نفوس البشر، ورسله الكرام اعتمدوا على الأدب في أداء رسالتهم و إبلاغها الأمم، وتبعهم الخطباء و الصحابة و التابعون والعلماء لينهضوا بالدعوة الإسلامية، مازجين بين أساليب الأدب و روح دين الإسلام)[9] و لقد كان النبي صلى الله عليه و سلم ،يحفظ بعض ما يقوله الشعراء و كان يصححه و ينتقده ،كما كان له ذوق خاص في هذا الجانب بحكم فصاحته " ليس بدعا من الرسول العربي أن يعجب بالشعر العربي كما يعجب به أصحاب الذوق السليم، أعجب بشعر النابغة الجعدي و قال له :لا يفضض الله فاك و بلغ من استحسانه لبانت سعاد أن صفح عن كعب و أعطاه بردته و استمع إلى الخنساء و استزادها مما تقول و تأثر تأثرا رقيقا لشعر قتيلة بنت النظر و هو الذي دعا حسان بن ثابت ليجيب وفد تميم و هو الذي قال: إن من البيان لسحر" [10] ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقف عند الإعجاب به فقط بل اعتبر الشعر، كما أشرنا سابقا وسيلة للنشر الإسلام ودعا إلى نظمه و نقده وفق أسس دينية.

كما اهتم العرب أيضا بالمفاضلة بين الشعراء ،و الدليل على ذلك تفضيل قريش و الأنصار لحسان و تفضيل عمر رضي الله عنه للنابغة متباهيا بأبيات من شعره حتى قال عنه أنه" أشعر غطفان أشعر من عنترة، من عروة بن الورد، و من الشماخ ابن ضرار ومن مزرد أخيه "و قال عنه أيضا"أشعر العرب"

فقد كانت المفاضلة بين الشعراء بشأن من هو أشعر من الشعراء، و غالبا ما كانت تنتهي بالخصام بين المفاضلين مما يتولد النقد عن ذلك.

[9] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، الصفحة 79(بتصرف)

[10] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، الصفحة 43

ونجد أيضا تفضيل عمر رضي الله عنه لزهير لكن فيه تناقض بينه وبين نفسه" يقول ابن عباس: قال لي عمر ليلة مسيرة إلى الجابية في أول غزوة غزاها ، هل تروي لشاعر الشعراء قلت ومن هو؟ قال الذي يقول :وَلَوْ أَنَّ حَمْدًا يُخْلِدُ النَّاسُ أَخْلَدُوا وَ لَكِنَّ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخَلَّدِ

قلت:ذلك لزهير قال: فذاك شاعر الشعراء"[11] فالتناقض نلحظه في الجزء الأخير من هذا القول وقوله السابق عن النابغة"أشعر العرب"[12] إلا أن احدهم فيه تعميم (على مستوى العرب)و الآخر فيه تخصيص(على مستوى الشعراء)، بمعنى إن عمر رضي الله عنه كان يهدف إلى توضيح خصائص شعر كل منهما (بما فضل على غيره)،فالنقد في الإسلام أصبح فيه"ملامح التطوير والتجديد لأساليب النقد و موضوعاته كما ظهر أثر النقد واضحا في استنهاض همم الشعراء للدفاع عن العقيدة الإسلامية"[13] فقد كان في النقد النبوي نوع من التوجيه و التعديل على مستوى المعاني و البيان و الأسلوب، الذي كان نوعا ما يميل إلى الخشونة بسبب البيئة القاسية، إلى أسلوب اتخذ من القرآن نهجا وغيره من التعديلات، فبصورة عامة أصبح الشعر مبنيا على أسس دينية ، غنيا بالألفاظ المهذبة بفضل الدين الإسلامي.

كما شهد الشعر الإسلامي ازدهارا و كان السبب في ذلك عدد من العوامل أهمها[14]:

- كثرت الشعراء الذين عاشوا في الإسلام
- كثرت بيئاته في البادية و الحواضر الإسلامية مثل: مكة و المدينة و دمشق و البصرة و الكوفة
- رجوع العصبية العربية إلى عهدها الجاهلي

[11] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، ص 45

[12] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[13] الحسين الحاج حسن،النقد الأدبي في آثار أعلامه، الصفحة 119

[14] طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، الصفحة 50

و ما نلاحظه من خلال هذه العوامل و كأنها كل واحدة تكمل الأخرى فبتعدد البيئات يتعدد الشعراء وتتعدد الأذواق و الأحكام و بالضرورة تتسبب في المفاخرة بين الشعراء و مما يخلف انتقادات بين الشعراء و الأدباء.

كما كان لبعض الشعراء خروج عن المألوف في النقد و قل اهتمامهم بالصياغة(بل إن نقدهم للشعر جاوز بنيته و معانيه إلى نقد الشعور و التفرقة بين إحساس و إحساس و نقد الشعور أعمق و أدق من نقد الصياغة و المعاني في أغلب الأحيان، ففيه تفرقة بين ما قوي وما ضعف)[15] فنقدهم أهمل مكونات أساسية في القصيدة العربية ،وذهب ليصب اهتمامه بالإحساس و الشعور باعتباره، ميدانا شائكا يتطلب أحكاما تصدر عن تمعن، و بعدا في النظر وخال من الصناعة والتكلف، فالشعور يمتاز بنوعين منه القوي ومنه الضعيف برغم من قوة الإسلام وعباراته و ربما يقصد بهذين النوعين من الشعور أقسام الذوق الذين ذكرهما" طه حسين في رسالته 'حافظ و شوقي':هناك ذوقان لكل واحد منها حظ منهما يختلف قوة وضعفا، ويتفاوت سعة وضيقا باختلاف ما لشخصيته من القوة و الظهور"[16] فالتفرقة نقصد بها التمييز بين ما قوي إحساسه و ذوقه و مدى استيعابه من طرف القارئ و تأثيره في نفسيته و بين ما ضعف و ذلك على حسب القضية التي يعالجها مما جعلهم يخطئون بالابتعاد عن فصاحة اللغة التي تعتبر المحرك الأساسي للشعر بصفة خاصة و الأدب بصفة عامة.

و نستخلص من شعراء هذا العصر أن الدين الإسلامي"استطاع أن بتعاليمه الجديدة أن يغير من اتجاهات العرب النقدية و الأدبية و الأخلاقية والتنظيمية فأحدث انقلابا جذريا في حياة العرب من جميع جوانبها "[17] فكانت لهم القدرة على الوصول إلى نتائج صحيحة و بمفهوم آخر أنهم غاصوا فيه و امتدوا في محيط النقد على خلاف ما كانوا عليه في الجاهلية و ذلك بفضل معرفتهم وطبعهم دون

[15] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، الصفحة 55-56

[16] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، الصفحة124

[17] الحسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، الصفحة125

حاجة إلى العلم و حفاظهم على أصالة أدبهم و ذوقهم و بالتالي النقد في عصر الإسلام لم يكن فيه تقدم كبير عن العصر الجاهلي.

أما اللغويين والنحاة فجاءت حركتهم في النقد على إثر بعض الأسباب و أهمها :الحفاظ على النص القرآني من التحريف ،و الدفاع عن علم اللغة و الفصاحة و البيان "فقد وجد قوم يتكلمون العربية تعلما لا سليقة، و ينقدون العربية صناعة و دراسة، لا جبلة ولا طبعا و كلما بعد العهد بالجاهلية خفة السليقة، و أصبحت ملكة الأدب و النقد تكتسبان اكتسابا"[18] فقد كان القرن الثاني حافلا بالازدهار، فقد عرف بمرحلة التدوين التي كانت تختص بالأدب و الشعر، و أصبحوا يتعلمون اللغة ويطبقونها في دراساتهم، ونقدهم و كان لبعض المدن العربية و الإسلامية، دورا في هذا التطور" و كانت البصرة و الكوفة أحفل المدن بالعلماء و أغزرها ثقافة و أبعدها أثرا في تأسيس العربية و وضع قياسها و توضيح سبلها، و كانتا أسبق المدن عناية بكلام العرب و لغاتها و غريبها و كل ما علمت في الجاهلية و الإسلام و كان النقد الأدبي نصيب من تلك العناية الكبيرة"[19]

و كانت هذه العناية فيهما بضبط بحكم موقعهما الإستراتيجي، و تاريخهما و تشابههما إلى حد كبير في الحضارة، مما جعل منهما أهم المدن الإسلامية و زيادتا على ذلك فقد كانتا تحتلان مكانة ثقافية و أدبية، مما ساعدها على إنجاب العديد من عباقرة العلم و اللغة و الأدب و الشعر و النقد أمثال: المتنبي، الدؤلي، الكميت بن زيد الأسدي و الأصمعي وغيرهم من الأدباء.

و ما نلاحظه من خلال هذه المرحلة، أن النقد كان متفرعا إلى ضروب عدة "وجد نقد آخر لغوي نحوي نهض به اللغويين و النحاة من علماء البصرة والكوفة خاصة و يقوم على الصلة بين الأدب و أصول النحو واللغة و العروض و إن لم يتجرد هؤلاء العلماء عن الذوق الفني مطلقا، واتسع النقد فوجدت في جوانب جديدة كملاحظة الصلة بين الشاعر وشعره من جهة وبين بيئته من جهة

[18] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، الصفحة 65

[19] المرجع نفسه، الصفحة 65-66

أخرى"[20] لأن اللغويين و النحويين لم يعتمدوا على اللغة التي شاعت في الجاهلية و الإسلام فقط ،بل تزودوا باللغة الأصلية من أجل الحفاظ على سلامتها، و صحتها و بفضلها تمكنوا من أن يضبطوا قواعدها، في النحو واللغة كما مكنهم من الغوص و التعمق في ميدان النقد، و تصويب ما أخطئوا فيه من جميع النواحي (الإعراب، الوزن، القافية، الصياغة) ،وبالتالي ساهموا في الازدهار مما أعطى للنقد أصنافا ،و أشكالا وفق مجهود فكري و معرفي من أجل الوصول إلى الحكم الصحيح، ولم يكتفي النقد بهذه الصور فقط بل أخد يلملم بالتاريخ "فكما نعلم أن التاريخ عصور...و كل عصر له حلقات لها صلة بما قبلها وما بعدها و الناقد يتابع نقده في الضوء التاريخي لهذه العصور، ويقتضي النقد أن يربط بينها ويرصد تطور الظاهرة الأدبية من عصر إلى عصر "[21] فكل عصر عرف بأدب ومظاهر خاصة به ،و اختلف عن غيره سواءا في البيئة و الزمن والحياة أو الظروف الاجتماعي و الثقافية و أكثر ما يهمنا هو الأدب .

و عن كل هذه الجهود التي أبحر فيها اللغويين و النحويين في علم النقد وكل أنواع النقد التي صادفها الباحثون وضروبه يقول الدكتور طه أحمد إبراهيم "هذا النقد متشعب فسيح يمس الأداة العربية كلها، و يحلل النصوص من جميع نواحيها"[22]

ثم ننتقل إلى النقد عند ابن سلام الجمحي، كونه أول من ألف في النقد الأدبي، و أول من بحث في قضاياه مستخدما دراسات سابقيه لوفرتها، جامعا بين النقد الأدبي و التاريخ الأدبي ليجسده في كتابه طبقات الشعراء ،كما اعتبره محمد مندور من مؤرخي الأدب أكثر من أنه ناقد و لطالما اعتمد ابن سلام على الماضي و أنه "عاد إلى المبادئ القديمة فمنحها شكلا جديدا و وسع منها أو غير بعض التغيير في مدلولها"[23] مما جعله لا يتقدم بآراء جديدة عن الذين عاصروه بسبب تشبثه

[20] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، الصفحة110

[21] الحسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، الصفحة 64

[22] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، الصفحة 66

[23] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، ط1، بيروت،1971، الصفحة82

بالقدماء و برغم من المكانة التي حظي بها كتابه ضمن كتب النقد ،إلا أنه وجد لديه أخطاء أهمها طريقة تقسيمه للشعراء، وخلطه بينهم فمنهم من هو جاهلي و وضعه مع الإسلامي، كما قدم البعض و أخر البعض هذا بحسب مفهومنا، أما بحسب مفهوم ابن سلام أنه ألف كتابه على فكرتين"الكلام في الشعر الموضوع، و الكلام في الشعراء و أشعارهم وجعلهم طبقات"[24] مضيفا فكرة أخرى"النقد الموضوعي"[25] فهذه الفكرة هي فكرة قديمة و اتضحت عند ابن سلام ،وظف من خلالها ملكته العلمية و المعرفية في دراساته مما أضفى على طبعه الأدبي طغيانا علميا "إذا كان ابن سلام بارعا كل البراعة في تناول المسائل الأدبية من جميع أطرافها، فإن ملكته الأدبية في تحليل الشعر و تذوقه لا تكاد تظهر فيما كتب، ملكته الأدبية أضعف بكثير من ملكته العلمية"[26] فالأسلوب العلمي من صفات الناقد الموضوعي ،ونقد هذا الأخير لا يخلو من التفصيل والتحليل والتعليل وفق منهج معين ،و قواعد مجمع عليها بالإضافة إلى ذوق والخبرة والتمرن، و معرفة ليتمكن من الإحاطة بالظواهر الأدبية من كل الجوانب ليخرج بنتيجة سلبية أو إيجابية.

وقد أشار الناقد محمد مندور إلى نفس الفكرة بقوله "لا تقف الروح العلمية لابن سلام عند ملاحظة تلك الظواهر، بل تمتد إلى تفسيرها"[27] ولاشك أن هذه الروح العلمية دليل على تطور النقد عما كان عليه عند القدماء، مع تقيده بما ذهبوا إليه لأن كتاب **طبقات الشعراء** هو أول كتاب في النقد ،كما كان بمثابة صورة جسدت سيرورة النقد و الشعر في الجاهلية، وكخلاصة يقولها المرحوم طه أحمد إبراهيم حول النقد عند ابن سلام الجمحي"لقد كانت الأفكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط حتى جاء ابن سلام فضم أشتاتها و ألف بين المتشابه منها بروح علمي قوي، ثم إن الأصول التي

[24] طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، الصفحة 107

[25] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[26] المرجع نفسه، الصفحة 109

[27] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب واللغة، ص 20

عرفت قبله في النقد لم توطد، ولم تؤكد، و لم تستقر و ترسخ إلا في كتاب طبقات الشعراء"[28] لهذا نقول أن كتاب ابن سلام جمع جل جهود العرب في الأدب و النقد .

وبعد أن نظرنا في النقد عند ابن سلام علينا أن نتطرق إلى النقد عند ابن قتيبة الدينوري وجهوده في النقد الأدبي و التاريخ الأدبي، نظرا لاهتمامه الكبير في ميدان الشعر و شؤونه و هو صاحب كتاب **الشعر و الشعراء** ،و الذي سار فيه على منحى سابقه فقط من ناحية أن كلاهما ألف كتابا في النقد و كلاهما كان قريبا من التاريخ الأدبي أكثر،إلا أن ابن قتيبة ابتعد عن تقليد ابن سلام و اعتمد على منحى خاص به فقد بدأ كتابه بمقدمة ضمنها مصطلحات نقدية، التي كانت تجول في عصره مما سمح له أن يصنف ضمن الكتب النقدية.

و تتمثل هذه المصطلحات النقدية التي ذكرها في مقدمته و هي في نفس الوقت تعتبر قضايا:

- قضية القديم و الجديد و الالتزام بالتقاليد الشعرية القديمة أو الموروثة.
- قضية الانتحال.
- قضية ثنائية اللفظ و المعنى .
- قضية الطبع و التكلف و وحدة القصيدة.
- قضية السرقات الشعرية.

كما تميز ابن قتيبة عن سابقه بميزتان و تتمثلان في:(الأولى أنه دعا إلى عدم التفريق بين الوزن القديم و المحدث ،فالشعر القديم قد يكون جيدا و قد يكون رديئا و الثانية أنه فرق بين الروح العلمية والذوق الأدبي و إن اشتغال الأديب بالمصطلحات الفلسفية، لا يفيده في الأدب، بل يضعف ذوقه و إنما الذي يربي ذوقه حفظ النماذج الأدبية و تقليدها)[29] و نفهم من هاتان الميزتان إن ابن قتيبة

[28] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ص 111

[29] أحمد أمين، النقد الأدبي، ص 477-479

يعتمد في إصدار أحكامه على مبدأ الجودة و الرداءة و أن الروح العلمية و الأدبية لا يجتمعان، عنده مع الذوق عندما يوظف الفكر الفلسفي في القصيدة .

أما محمد مندور يرى أن ابن قتيبة "رجلا مستقل الرأي غير خاضع لتقاليد العرب الأدبية و لا مؤمن بأحكامهم و لا مطمئن إلى المعتقدات الأدبية التي كانت منتشرة في عصره"[30] ففي نظره هناك منهج واحد اتبعه جل شعراء العرب القدامى(البكاء على الأطلال، الأغراض...) لدى تفرد عن سابقيه ،معتمدا على الجودة و الرداءة و على المنهج العقلي، متناولا الأفكار و القضايا من الناحية المنطقية مما دفع محمد مندور للقول بأن بن قتيبة"ليس ناقدا، وإنما الناقد هو الرجل الذي يتناول النصوص و يدرسها و يميز بين أساليبها"[31]

و كخلاصة نقول أن كلا من ابن سلام و ابن قتيبة اتخذ منهجا خاصا به ،و سار عبره متمما أفكاره معالجا قضاياه، و بعد كل هذه المراحل التي مر بها تاريخ النقد الأدبي و غيرها، يمكن أن نقول عنها أنها عبارة عن معايير اتخذها كل ناقد، ليعتبرها الدارسون و النقاد فيما بعد على أنها مرحلة تمهد إلى ما يأتي بعدها كما اعتبروها مرحلة انتقال من النقد الأدبي إلى نقد منهجي الذي قال عنه محمد مندور" و إنما أصبح النقد نقدا منهجيا في القرن الرابع "[32] فمن خلال دراسة الناقد لهذا التاريخ يتمكن من تحديد زمن هذا النوع من النقد، بمعنى أن العصور السابقة كانت ترسم المعالم و الطريق التي سار عليها النقد منذ الجاهلية ،إلى أن بدأت بوادر النقد المنهجي تطل عند ابن المعتز و مؤلفه البديع، و ذلك إثر تحديده لخصائص مذهب البديع ،و التي لخصها محمد مندور بقوله "ونخلص من هذا إلى أن ابن المعتز في كتابه البديع، عندما أراد أن يحصي مميزات المذهب الجديد قد جمع بين ثلاثة أشياء مختلفة بطبيعتها:

[30] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، ص 23

[31] المصدر نفسه،الصفحة 48

[32] المصدر نفسه ،الصفحة 22

1. الاستعارة التي هي عنصر أصيل في الشعر.
2. طرق أداء تتعلق بالشكل و لا تلمس جوهر الشعر في كثير و هي التجنيس والطباق ورد العجز على صدر.
3. مذهب عقلي هو المذهب الكلامي"[33] و نفهم من هذا القول أن ابن المعتز قام بحصر أبواب البديع في خمسة (الاستعارة، التجنيس، المطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها و ختمها بالمذهب الكلامي)

كما كان لهذه الخصائص، يد مساهمة في ولادة المسمى بالنقد المنهجي، لأن ابن المعتز تناول الأدب كفن، و درس ألوان البديع و البلاغة بأسلوب منهجي منظم، و قفز بالنقد قفزة نحو الجديد بدراسة العبارة و نقدها و ساعد في بداية النقد المنهجي" فابن المعتز قد ساعد على خلق النقد المنهجي بتحديده لخصائص مذهب البديع و وضعه اصطلاحات لتلك الخصائص، و عنه أخذ من جاء بعده "[34] و بالتالي كان لهذا العمل أهمية كبيرة في مجال النقد و ذلك بتلك الخصائص ،التي حددها ابن المعتز ليميز بها مذهبه الحديث"مذهب البديع"، و تأثيره في من جاء بعده ،من النقاد و قد دفعته إلى التأليف هذا الكتاب أسباب لخصها الدكتور إحسان عباس في قوله"و يصح لنا أن نقول إن أبا تمام كان يمثل 'مشكلة فنية' لدى ابن المعتز، و أن هذه المشكلة بدأت مبكرة في تصوره لها ، و كانت سببا من الأسباب التي وجهته إلى تأليف كتاب البديع، ليدل على أن هذا الفن موجود عند العرب و في القرآن و الحديث و كلام الصحابة، و أن المحدثين لم يكونوا مبتكرين له "[35] بحيث نفى استحداث هذا المذهب، من قبل المحدثين نفيا لا رجوع فيه و ذلك بالدليل و الشواهد، جوابا على من ادعوا أنهم السباقون إلى هذا العلم بالرغم من أنهم عرفوه كمصطلحات لا كعلم و تصدر بهذا الرد مقدمة كتابه " قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن و اللغة و أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و كلام الصحابة والأعراب و غيرهم و أشعار المتقدمين من الكلام

[33] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، الصفحة 52

[34] المصدر نفسه ، الصفحة 61

[35] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، الصفحة 120

الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشار ومسلما و أبا نواس و من تقيلهم و سلك سبلهم، ولم يسبقوا إلى هذا الفن و لكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه و دل عليه"[36] مشيرا في بداية مقدمته إلى ما تطرق إليه في أبواب كتابه، و قام بالتمثيل لكل باب بأمثلة مما وجده في زمانه كما أشار إلى حقيقة البديع القديمة، في الشعر العربي لكنها قليلة التداول الا أنها تتميز أو تعرف بالبساطة وعدم التصنع في بدايتها، و أنها لم تعرف بشكل ظاهرة يتطلب دراستها، ذلك ما يدل على غياب المصطلح "البديع"، الذي أشار إليه ابن المعتز في آخر القول السابق، و يشير أيضا في مقدمته " وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدوس ،في الأمثال و يقول لو أن صالحا نثر أمثاله في شعره، و جعل بينها فصولا من كلامه، لسبق أهل زمانه و غلب على مد ميدانه و هذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى"[37] و هذا يدل على هذين الشاعرين من الذين وجد ما يدل على البديع، في شعرهم إبان العصر العباسي ،و أن الطائي لطالما أحب هذا العلم و تفوق عليه ،و تشعب في مسائله حتى "أحسن في بعض ذلك و أساء في بعض و تلك عقبى الإفراط"[38] ثم خلفه فيه من بعده ب 15 سنة ،ابن المعتز و ألف كتابه المسمى بالبديع، هادفا من وراء هذا التأليف التوضيح" غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع"[39] و من خلال هذا القول يتضح لنا، مدى اهتمام ابن المعتز بنقد المحدثين و بالبديع ،و يقول عن هذا الأخير أنه "اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء و نقاد المتأدبين منهم فأما العلماء باللغة و الشعر القديم ،فلا يعرفون هذا الاسم و لا يدرون ما هو و ما جمع فنون البديع ،ولا سبقني إليه أحد و ألفته سنة أربع و سبعين و مائتين"[40] و كأنه بقوله هذا يشير إلى فضله ،على غيره و إلى أهمية كتابه، و شأنه الكبير في مجال النقد العربي، رغم أنه يختص بالبلاغة أكثر من النقد الا أنه يحمل في طياته بعض اللحظات النقدية و هذا راجع إلى تلك

[36] عبد الله ابن المعتز، البديع، دار المسيرة، ط3، بيروت ، 1972، الصفحة 1

[37] المرجع نفسه، الصفحة 1-2

[38] المرجع نفسه، الصفحة 1

[39] عبد الله ابن المعتز،البديع، الصفحة 3

[40] المرجع نفسه، الصفحة 52

الخصائص التي حددها ابن المعتز، و بنى على أساسها مؤلفه، و مذهبه الجديد حسب ما يقول داود غطاشة الشوابكة "يعتبر النقاد العرب كتاب البديع ذا أهمية بالغة في النقد العربي، و تطوره لأنه أول من شق هذا الطريق في التأليف، و هو من جمع الفنون الأسلوبية التي اعتاد الشعراء و البلغاء استخدامها كما أن أهميته أيضا ترجع إلى تحديده لخصائص مذهب البديع، و تأثيره في النقاد اللاحقين"[41] و المقصود من القول تلك القدرات اللغوية ،التي تضفي على النص الشعري ذوقا جماليا ، و تحيط بما فيه من معارف جمالية هذا ،بالإضافة إلى تلك الخصائص التي حددها ابن المعتز لمذهبه الجديد و بالتالي مرحلة جديدة في النقد بفضله"و بكتاب البديع انتقل النقد إلى طور جديد، هو طور العناية بالصورة، و توجيهه إلى رسالة الشكل"[42] و جاء هذا الانتقال بعد موجة من الدراسات و التي كانت تنصب جلها في مجال علم المعاني و الألفاظ و النحو و اللغة و أهملت ،كل ما يعنى بالطبع الجمالي أو المحسنات البديعية رغم أن البعض منها تصنف ضمن الصور البيانية " اتضحت إذا أولى المصطلحات الفنية للمذهب البديعي بكتاب ابن المعتز جعل الاستعارة و التشبيه و الكناية من البديع و هي من أعمدة علم البيان" و استمر هذا المفهوم مطولا حتى اتهموا ابن المعتز، بأنه متأثر بكتاب أرسطو إلى أن جاء محمد مندور، بالجواب مبرهنا على أصالته" ابن المعتز يبدأ تفكيره من الوقائع و النظر فيها، و هو عربي صميم سليم الذوق يعرف الشعر العربي و يتذوقه، و إذا كان للفلسفة تأثير عليه فإنها لم تستعبده و لا أفسدت نظرته إلى الشعر كما لم تبعد به عن الحقائق"[43]فقد ظل الشعر عربيا ،مرتبطا بالأدب العربي الذي حفظته الذاكرة منذ الجاهلية ،إضافتا على ذلك القرآن الكريم الذي كان مصدر النهضة الأدبية و اللغوية، مما ساهم في النهوض بمجموعة من الأئمة في النحو و البلاغة و النقد و غيرهم من الاتجاهات، متأثرين بما هو حاضر في عصرهم، منتجين جملة من النظريات أو الأفكار و المذاهب الجديدة ومن هنا يمكننا أن ندرج قول أن "الدافع لابن المعتز واضح و غرضه ظاهر رأى إفراط الشعراء في استعمال المحسنات في الشعر، و ادعائهم بأنهم لم يسبقوا

[41] داود غطاشة الشوابكة، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، ص97

[42] داود غطاشة الشوابكة، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس للهجرة ، الصفحة 97

[43] رجاء العيد، المذهب البديعي في الشعر و النقد، الناشر منشأة معارف، الإسكندرية، الصفحة 39

إلى ذلك فكتب ما كتب ليبين أن هذه المحسنات البديعية موجودة في كلام الرسول و الصحابة و أشعار من سبقهم"[44] و بالتالي برهن للناس أن البديع قديم منذ ظهور الإسلام، إلا أن كلا عرفه حسب عصره و ما شاع فيه، ولم يظهر في كتاب ليحظى بتلك القيمة الأدبية و الفنية "فقيمة كتاب البديع لابن المعتز لا ترجع إلى أنه يتحدث عن ألوان من البديع لم يسبق إليها فمعظم هذه الألوان البديعية كانت معروفة و مشهورة عند غيره من السابقين، و إنما قيمة الكتاب الحقيقية ترجع إلى أنه ضم ألوان البديع التي كانت سائدة في عصره بين دفتي كتاب واحد"[45] فإن ابن المعتز اكتفى في دراسته، على ما كان يدور في عصره من أفكار و مصطلحات، ليجمعها في كتابه و قد ساهم هذا الجمع في إعطائه مكانة بين رفوف أشهر المكتبات، و بين أيدي الدارسين و كبار العلماء و الباحثين، وهذا نظرا لما حواه من دراسات و تمعن في معالجة القضايا مثل: ألوان البديع و مسائل البلاغة و براعته في تنظيم أفكاره وفق منهج اعتمد عليه" ومنهاج ابن المعتز في الكتاب يعد منهاجا علميا بالدرجة الأولى، فهو يسير على نمط واحد، و يسلك سبيلا محددا في إبراز فكرته عن البديع"[46] فقد كان يتناول الأدب من الناحية الفنية، و يتذوقه و يستحسن ما أراد أن يستحسنه و يستقبح ما لم يرمه، مع التمثيل لذلك.

كما علينا أن نتناول حالة النقد عند قدامة بن جعفر، كونه معاصرا لابن المعتز" وكان قدامة من أوسع أهل زمانه علما و أغزرهم مادة، أخذ بنصيب وافر من ثقافة عصره الإسلامية، فبرع في اللغة و الأدب و الفقه و الكلام و الفلسفة، والحساب"[47] و كون من هذه العلوم سنون مليئة بالعطاء الأدبي و هو صاحب كتاب 'نقد الشعر' الذي حاول من خلاله ،أن ينقل لنا قيمة علمية بمؤلفه هذا الذي رتب فيه خلاصة فكره، فقد أراد أن يظهر نظرته في حلة جديدة ،و ذلك بعنوان كتابه و قد قسمه إلى أقسام"كتاب نقد الشعر: فيه ثلاثة أقسام القسم الأول تناول فيه قدامة حد الشعر (وفصل القول

[44] المرجع نفسه، الصفحة 37

[45] عمر بن مجاهد، محددات النقد الأدبي القديم عند العرب دراسة تحليلية لكتاب النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي العربي القديم، كلية الأدب جامعة وهران، الجزائر،2014-2015، ص156

[46] عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001، ص93

[47] مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، 1998، ص 189

في عناصره الأربعة اللفظ و الوزن و القافية و المعنى)–القسم الثاني–فصل فيه قدامة وجوه الحسن في المعاني الشعرية –القسم الثالث– فصل فيه قدامة عيوب المعاني"[48] ففي قوله هذا نرى و كأن في فصله الأول يعود ليشرح تعريفه للشعر بالمفردة، ثم ينتقل إلى محاسن الشعر ثم إلى مساوئه مما جعل هذا المؤلف يصنف ،ضمن كتب البلاغة "يعتبر كتاب قدامة قاعدة للدراسات البلاغية التي جاءت بعده"[49] فقد بنى كتابه على شكل قواعد، متأثرا بالمنطق و الفلسفة كما حمل في طياته مصطلحات نقدية ،و بلاغية و نجد هذه الأخيرة هي الغالبة على محتوى الكتاب، فهي علم أيضا ولم تكن تخص فئة العرب فقط ،و قد استخلص محمد مندور من كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر"إن كتاب قدامة لم يؤثر لحسن الحظ تأثيرا كبيرا في النقد و كل ماله من فضل هو وضع عدد من الاصطلاحات و تحديد بعض الظواهر"[50] و بعد تعدد تلك المصطلحات ،و اتساع دراسته و تنوع القضايا التي وظفها ابن قدامة ،نجد فيها ما يدل على تأثره بالثقافة اليونانية"ثقافة قدامة غلب عليها الطابع اليوناني الفلسفي أكثر من طابع الثقافة العربية التي تلقاها في صدر حياته"[51] فإن بحثنا في أصل قدامة بن جعفر نجده غير عربيا أصيلا، بالإضافة إلى كثرة اطلاعه على كتابات أرسطو، و تأثره بنظرياته حتى أصبح يسير وفق منهجه حيث يقول مصطفى عبد الرحمان، في هذا الرأي أن"قدامة قد تأثر تأثرا واضحا بمنطق أرسطو و فلسفته في نقده"[52] و يقول أيضا عن منهجه"و كان منهجه الجديد خطوة لتدوين علوم البلاغة العربية وأصول النقد الأدبي، صونا لهما من أن يذابا في التيار الفلسفي الدافق الذي فتن به من كان على شاكلة قدامة من النقاد و البلاغيين،و الإبقاء على عروبة النقد"[53] و علينا أن نقول أن النقد والبلاغة، حافظا على أصالتهما مهما تعدد النقاد و على اختلاف آراءهم

[48] المرجع نفسه، الصفحة 192-193

[49] المرجع نفسه، الصفحة 193

[50] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في ا؛لأدب و اللغة،ص 72

[51] مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب،ص 191

[52] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[53] المرجع نفسه، الصفحة 193

و علومهم و برغم من دخول الفلسفة اليونانية على كليهما، و قد كانا هذان العلمان متممان لبعضهما البعض فأغلب العلماء كانوا يعتمدون عليهما معا، دون الفصل بينهما.

و لا ننسى رأي محمد مندور في قدامة بن جعفر"فأما قدامة فعقليته شكلية صرفة و هو لا يبدأ بالنظر في الشعر بل يكون أولا هيكلا لدراسته و يحدد تقاسيمه أو إن شئت فقل إنه يصنع قطعة أثاث هندسية التركيب، ثم يأخذ في ملأ أدراجها"[54] و بالتالي ما علينا إلى أن نقول النقد على مر العصور ظل عربيا خالصا ،و ذلك بفضل جهود العرب ،و بالرغم من تنوع العلماء و الأدباء وتطور النقاد ،في آرائهم إلا أن كلا منهم تطرق إلى ما يحيط به، وما ساد عصره،و كلا منهم اتخذ منهجا و سار عليه ،فمنهم من انفرد ومنهم من تأثر و تبقى هذه ،كسمة مشتركة لدى النقاد لكنها تختلف في كيفية التأثر و بما تأثر.

[54] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، ص 69

رواد النقد المنهجي

لقد كانت فترة النقد المنهجي بمثابة مرحلة ثانية للنقد ،حيث بلغ فيها هذا الأخير أوج التحليل النقدي ،خاصة مع نقاد لمسنا من خلالهم جوهر المنهج المنظم ،و هؤلاء النقاد هم:ابن المعتز،الآمدي، عبد العزيز الجرجاني.

أ) ابن المعتز (247هـ-296هـ)

عبد الله ابن المعتز، الخليفة الشاعر الأديب ،كنيته (أبا العباس) ولد في مدينة سامراء بالعراق و اختلفت الروايات في تاريخ ولادته، فهناك من يقول بأنه ولد سنة 249هـ، و هناك من يقول بأنه ولد سنة 247هـ،و كثير من المصادر التي تعتمد على هذا التاريخ وهناك رواية أخرى تقول أنه ولد سنة 246هـ.

كان له فضل كبير في تقدم و تطور النقد ،و البلاغة و الأدب من خلال تأليفه لكتاب البديع حيث ضمنه أنباء البديع، وعلوم البيان و الفنون البلاغية، و ظهر أثره في النقد في حديثه عن الجزالة ونظم الشعر، و الصنعة الشعرية ،و باقي القضايا التي عولجت في عصره، كما اجتمعت فيه صفة قول الشعر و نقده"أبو العباس عبد الله ابن المعتز ناقدا انطباعي يتحول و يتردد مع أذواق الناس"[55] كان دوره في الأدب أهم بكثير من دوره في السياسة، لذا ارتأيت أن لا أنظر إلى حياة ابن المعتز السياسية كونها متشعبة و مليئة بالأحداث، و لو تطرقت إليها لكانت بمثابة فصل لهذا، اخترت حياته الأدبية باختصار فهذه الأخيرة ،كانت في طور النمو و التطور المستمر و هذا على يد مجموعة من الأدباء،أمثال الجاحظ، ابن سلام، ابن قتيبة، ابن المعتز، قدامة بن جعفر وغيرهم فقد كانوا يتنافسون على البراعة في الكتابة ،و على الإبداع و على توسيع رقعة الأدب و النقد.

معبرين عن الأحداث التي دارت في العصر العباسي، و ما تأثروا به كون الشاعر ابن بيئته ومن هنا، نقصد البيئة التي شب فيها ابن المعتز فقد كان لها شأن في مساره الأدبي،فابن المعتز كان من

[55] الحسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص 205

أمراء العصر العباسي، من أصل عريق فأجداده الرشيد و المعتصم و المتوكل ثم أبوه المعتز الذين كانوا من الخلفاء العباسيين.

اخذ ابن المعتز مختلف أنواع العلوم ،على أيدي مجموعة من كبار الأدباء و العلماء في الأدب و النحو و حتى الفقه، أمثال:محمد بن عمران بن زياد بن كثير،أبو جعفر الضبي النحوي الكوفي"سكن بغداد و كان مؤدب عبد الله ابن المعتز بالله "[56](كان عارفا بالقراءة و العربية و عالما بالحديث و الأثر)[57]

و من أساتذته أيضا:

– أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي أبي الحسن: كان يعلم ابن المعتز علوم الدين و الأدب"كان مؤدب ولد المعتز، و اختص بعبد الله بن المعتز"[58] و كانت تدور بينهما مراسلات وكان يعلمه أيضا القرآن.

– الحسن بن عليل بن الحسين بن علي بن حبيش بن سعد أبي علي العنزي:" كان صاحب أدب و أخبار،وكان صدوقا"[59] و كثيرا ما روى عنه ابن المعتز.

– محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن النضر بن الأزد بن الغوث أبو العباس الأزدي، ثم الثمالي المعروف بالمبرد البصري: "شيخ أهل النحو، و حافظ لعلم العربية"[60] "اخذ الأدب عن أبي العباس المبرد و أبي العباس ثعلب و غيرهما،كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا، على الشعر قريب المأخذ،سهل اللفظ،جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني،مخالطا للعلماء و الأدباء"[61]

---

[56] البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، تاريخ مدينة السلام و أخبار محدثيها و ذكر قطانها العلماء من غير أهلها و وارديها،تحقيق بشار عواد معروف،دار الغريب الإسلامي،مجلد4، بيروت،ص 223

[57] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة لأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغريب الإسلامي، الجزء6، ص 2585

[58] المرجع نفسه، الجزء1، ص266

[59] البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، تاريخ مدينة السلام و أخبار محدثيها و ذكر قطانها العلماء من غير أهلها و وارديها،تحقيق بشار عواد معروف،دار الغريب الإسلامي،مجلد 8،ص406

[60] المرجع نفسه، الجزء4، ص603

[61] شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس،دار الصادر،الجزء 3،بيروت،1978،ص76

– أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار،أبي العباس النحوي الشيباني، المعروف بثعلب،إمام الكوفيين في النحو و اللغة ، كان من حفظة أقوال القراء،كان محبا للغة العربية منذ الصغر، و قال عنه أبي بكر محمد بن عبد الملك التاريخي قال:(أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب فاروق النحويين،أصدقهم لسانا و أعظمهم شأنا، و أبعدهم ذكرا و أرفعهم قدرا، وأصحبهم علما و أوسعهم حلما، و أتقنهم حفظا، و أوفرهم حظا في الدين و الدنيا)[62] و من هنا يمكننا القول أن هؤلاء الأساتذة و غيرهم و بفضل تعليمهم الراقي الذي حظي به ابن المعتز على أيديهم، ساهموا في بناء شخصية الأديب و المثقف ذا براعة في الكتابة و التأليف و كان أيضا متعدد المعارف لأنه كان ملما بعلوم منبته ،منها الفلسفة و التاريخ و كان له أيضا ،حصة حتى في الفنون كالغناء و الموسيقى، و الدليل على ذلك إنشاده قصيدة شعر لعدي الرقاع*

لَعُمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا بِأَكْنَافِ دَجْلَةٍ لِلْمُصْعَبِ
يَهُزُّونَ كُلَّ طَوِيلَ القَنَا ةِ لَدُنْ و مُعْتَدِلُ الثَّعْلَبِ
فِدَاؤُكَ أُمِّي و أَبْنَاؤُهَا وإِنْ شِئْتَ زِدْتُ عَلَيْهَا أَبِي
وَ مَا قُلْتُهَا رَهْبَةً إِنَّمَا يَحُلُ العِقَابُ عَلَى المذْنِبِ

و كان له نصيب أيضا في الثقافة وفي الدين، و يظهر هذا من خلال رسالة كانت بينه وبين مؤدبه، أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي حيث قال في نص الرسالة "والله لا قابل إحسانك مني كفر، ولا تبع إحساني إليك من فك مني يد لا أقبضها عن نفعك،و أخرى لا أبسطها إلى ظلمك ومهما تسخطني فأني أصون وجهك عن ذل الاعتذار"[63]

[62] البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، تاريخ مدينة السلام و أخبار محدثيها و ذكر قطانها العلماء من غير أهلها و وارديها،تحقيق بشار عواد معروف،دار الغريب الإسلامي،مجلد6، ص253-254

*عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع نسبه الناس إلى الرقاع و هو جد جده شاعرا مقدما عند بني أمية مداحا لهم خاصة بالوليد بن عبد الملك نظم قصيدة إثر وقعة كانت بين عبد الملك بن مروان و المصعب بن الزبير وكان ضحيتها هذا الأخير بطسوح=مسكن بالعراق (القصيدة هي نفسها التي أنشدها ابن المعتز)

[63] ياقوت الحموي الرومي،معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، الجزء 1،ص 267

و كأنه في هذه الرسالة يريد أن يحصي مكارم الأخلاق ،و تعاليم الإسلام التي تربى عليها، و كان له معرفة أيضا في علم الكلام و المصطلحات ،و جودة التركيب و الوصف و مثال ذلك قوله في قصيدة المصوغ من النفاق[64]

مِنْ كُلِّ جِسْمٍ كَأَنَّهُ عَرَضٌ يَكَادُ،لُطفًا، بِاللَّحْظِ يُنْتَهَبُ

نُورٌ وَإِنِ لَمَ يَغِبْ وَوَهْمٌ إِذَا صَحَّ،وَ مَاءٌ لَوْ كَانَ يَنْسَكِبُ

وقوله في الوصف من قصيدة ليل المحب طويل [65]

أَطَلْتَ،وَ عَذَّبْتَنِي،يَا عُذُولُ بُلِيتُ، فَدَعْنِي حَدِيثِي يَطُولُ

هَوَايَ هَوًى بَاطِنٌ، ظَاهِرٌ قَدِيمٌ، حَدِيثٌ، لَطِيفٌ، جَلِيلُ

فَمَا بَالُ ذَا اللَّيْلِ لاَ يَنْقَضِي كَذَا لَيلُ كُلّ مُحِبٍ طَوِيلُ

من هنا نخلص إلى قول أن ابن المعتز، كان ملما بأغلب علوم زمانه و في الحقيقة قد أحصيناها، من خلال إطلاعنا على عناوين بعض مؤلفاته، التي توحي بذلك و بعض الدراسات التي قدمت في شأنه.

أشعار ابن المعتز

❖ دواء الهموم:[66]

دَاوِ الهُمُومَ بِقَهْوَةٍ صَفْرَاءِ وَ امْزُجْ بِنَارِ الرَّاحِ نُورَ الماءِ

مَا غَرَّكُم مِنْهَا تَقَادُمُ عَهْدِهَا فِي الدُّنِ غَيْرَ حُشَاشَةٍ صَفْرَاءِ

مَازَالَ يَصْقُلُهَا الزَّمَانُ بِكَرِّهِ وَ يَزِيدُهَا مِنْ رِقةٍ وَصَفَاءِ

حَتّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا نُورُهَا فِي الدّنِّ وَاعْتَزَلَت عَنِ الأَقْذَاءِ

[64] عبد الله ابن المعتز، الديوان ، دار الصادر، بيروت، ص77

[65] المرجع نفسه، الصفحة372

[66] المرجع نفسه، الصفحة15

وَتَوَقَّدَتْ فِي لَيْلَةٍ مِنْ قَارِهَا كَتَوَقُّدِ المِرِّيخِ فِي الظَّلْمَاءِ

❖ ساهر للمجد و المكرمات:[67]

و سَارِيةٍ لاَ تَمَلُّ البُكَا جَرَى دَمْعُهَا فِي خُدُودِ الثَرَى

سَرَتْ تَقْدِحُ الصُبْحَ فِي لَيلِهَا بِبَرْقٍ كَهِنْدِيةٍ تُنْتَضَى

فَلَمَا دَنَتْ جَلْجَلَتْ فِي السَّمَا ءِ رَعْدًا أَجَشّ كَجَرِّ الرَّحَى

ضَمَانٌ عَلَيْهَا ارْتِدَاعُ اليَفَا عِ بِأَنْوَارِهَا وَ اعْتِجَارُ الرُّبَى

فَمَازَالَ مَدْمَعُهَا بَاكِيًا عَلَى التُّرْبِ حَتَّى اكْتَسَى مَا اكْتَسَى

❖ أهلا وسهلا:[68]

أَهْلاً وَسَهْلاً بِمَنْ فِي النَّوْمِ أَلْقَاهَا وَ حَبَّذَا طَيْفُهَا لَوْ كَانَ آتَاهَا

يَا حَبّذَا شَعَتُ المِسْوَاكِ مِن فَمِهَا إِذَا سَقَتْهُ عُقَارًا مِنْ ثَنَايَاهَا

❖ لو أنه لأبيه:[69]

مَنْ رَامَ هَجْوَ عَلِيٍّ فَشِعْرُهُ قَدْ هَجَاهُ

لَو أَنَّهُ لِأَبِيهِ مَا كَانَ يَهْجُو أَبَاهُ

مؤلفاته:

فبحكم العلوم التي تعلمها و تأثير البيئة التي كان يعيش فيها ،و التي كانت بدورها تشع بالأدب و الشعر و النقد و غيرها ،كان لابن المعتز نتاج خير من الكتب التي كانت تحمل في طياتها ،مختلف العلوم و الفنون و غيرها و هذه قائمة لبعض العناوين: [70]

[67] عبد الله ابن المعتز، الديوان ، الصفحة21

[68] المرجع نفسه ، الصفحة 26

[69] المرجع نفسه، الصفحة27

[70] مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب ،دار العلم للملاين،ط6،بيروت،1991،ص430-431

1. كتاب الزهر و الرياض
2. كتاب البديع
3. مكاتبات الإخوان بالشعر
4. كتاب الجوارح بالصيد
5. كتاب أشعار الملوك
6. كتاب الآداب
7. كتاب حلى الأخبار
8. كتاب طبقات الشعراء
9. كتاب الجامع في الغناء
10. كتاب فيه أرجوزة في ذم الصبوح
11. كتاب السرقات
12. كتاب فصول التماثيل
13. كتاب فيه أرجوزة في تاريخ بني العباس
14. ديوان شعر كبير

و هذه المؤلفات جزء منها حفظته رفوف المكتبات و أيادي الباحثين و الدارسين و الجزء الآخر اندثر مع الزمن.

وفاته:

كانت وفاته مكيدة مدبرة من قبل المقتدر، حيث سخر الخادم مؤنس لقتله "استخفى ابن المعتز في دار أبي عبد الله بن الحسين ،المعروف بابن الجصاص التاجر الجوهري فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس، الخادم الخازن فقتله و سلمه إلى أهله، ملفوف في كساء، و قيل أنه مات حتف أنفه وليس

بصحيح ،بل خنقه مؤنس وذلك يوم الخميس، ثاني شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين"[71] وكانت موته فقدان لروح أدبية غالية فهو ذلك الموضع النير بفضل العلم و المعرفة.

ب) الآمدي:

الحسن بن البشر بن يحي النحوي الكاتب، أبي القاسم(-370هـ)

ولد في البصرة ليس هناك رواية عن تاريخ مولده صنف من كبار النقاد، في زمانه و كانت له دراية بعلوم شتى، كاللغة و النحو و الشعر و النقد، وجعل من هذا الأخير مبلغ علمه، فقد جعل اغلب مؤلفاته تنصب في ذلك الميدان، كما يعود فضل تعليمه إلى ثلة من العلماء، سندركهم فيما بعد كما عرف الآمدي بالتنويع، في عناوين كتبه و أهمها كتاب الموازنة بين أبي تمام و البحتري، الذي تناول فيه حجج أنصار كل شاعر منهم ثم انتقل إلى سرقات و يوازن بين كلا الشاعرين مع ذكر أخطاء و عيوب كل منهما، و كأنه من خلال مؤلفه يريد أن يبين طريقه للنقد منهجي صحيح ومنظم و في هذا الموضوع، يقول محمد مندور"و في الحق إن النقد العربي لم يخلف غير كتابي'الموازنة'و'الوساطة' ففيهما نجد النقد بأدق معاني الكلمة إذ يتناول الكتاب الأول شعر أبي تمام و شعر البحتري ينقدهما نقدا دقيقا مفصلا:نقدا منهجيا"[72] ويقول في موضع آخر "الموازنة بين الطائيين ففيه نجد خلاصة كل ما ألف في النقد قبل الآمدي كما نجد منهجا للنقد ومقدرة عليه، و استقصاء للأحكام، و تقيدا بالموضوع، و قصدا في التعميمات، و بعدا عن التعصب ،و كل هذه الصفات تجعل من الآمدي زعيم النقد العربي الذي لا يدافع"[73] و كأنه بهذين القولين يريد أن يتمم ما بدأه في القول السابق بأن النقد بدأ في القرن الرابع و أنه ظهر عند الآمدي و عبد العزيز الجرجاني و يبين أيضا سبب قوله.

[71] شمس الدين أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، الجزء3، الصفحة77

[72] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، الصفحة74

[73] المصدر نفسه، الصفحة 98

وكما أشرنا سابقا أن الآمدي أخذ علمه على يد مجموعة من العلماء و الأدباء،حيث "حمل عن الأخفش و الحامض و الزجاج و ابن دريد و ابن سراج و غيرهم"[74]

أساتذته:

– علي بن سليمان بن الفضل الأخفش، أبو الحسن الأخفش الصغير[75]كان من أهل النحو واللغة كما عرف بقلة روايته للشعر.

– إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج البغدادي ،كان من أهل الدين و الأدب و النحو "حدثني الزجاج قال:كنت أخرط الزجاج، فاشتهيت النحو فلزمت المبرد لتعلمه"[76]

– محمد بن الحسن بن دريد بن العتاهية بن حنتم، [77]كان من علماء اللغة و الكلام و كان من رواية الأشعار،"وكان أحفظ الناس و أوسعهم علما و أقدرهم على الشعر و ما ازدحم العلم و الشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر و ابن دريد"[78]

– محمد بن السري بن سهل، أبي بكر ابن السراج البغدادي[79]كان صاحب مهارة "وكان أحد العلماء المذكورين و أئمة النحو المشهورين"[80]

و بفضل هؤلاء العلماء و علمهم اكتسب حسن الطبع ،و جودة التأليف و التنويع فقد كان له مجموعة لا بأس بها من الكتب.

[74] الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ، المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء وكناهم و ألقابهم و أنسابهم و بعض شعرهم ،تصحيح ف ،كرنكو، دار الجيل،ط1،بيروت، 1991،الصفحة5

[75] ياقوت الحموي الرومي،معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء4، الصفحة1770

[76] المرجع نفسه، الجزء1، الصفحة52

[77] المرجع نفسه، الجزء6، الصفحة2489

[78] المرجع نفسه،الجزء6، الصفحة2490

[79] المرجع نفسه، الجزء 6-7،الصفحة2534

[80] المرجع نفسه، الجزء7،الصفحة2535

مؤلفاته:

لقد كان في مؤلفاته نوع من العناية بالشعر و المعاني و النقد و النحو"و له من التواليف"[81]

1. نثر المنظوم
2. الموازنة بين أبي تمام و البحتري
3. المؤتلف و المختلف
4. معاني شعر البحتري
5. الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام
6. كتاب في أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما
7. كتاب إصلاح ما في معيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ
8. فرق ما بين الخاص و المشترك من معاني الشعر
9. تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين
10. كتاب في شدة حاجة الإنسان أن يعرف نفسه
11. تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر
12. كتاب فعلت و أفعلت
13. كتاب الحروف في الأصول في الأضداد
14. ديوان شعره نحو مائة ورقة

و هذه المؤلفات هي جزء صغير جدا من الكتب التي وصلت إلينا، و هي تحدد وجهة فكره في حياته الأدبية.

[81]الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء، الصفحة5

أشعار الآمدي [82]

هو قائل:

يَا وَاحِدًا بان في الزَّمَانِ مِمَنْ يجَارِيهِ أَوْ يُدَانِي

دَعْنِي مِنْ نَائِلٍ جَزِيلٍ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِهِ لِسَانِي

فَلَسْتُ و اللهِ مَسْتَمِيحًا و لَا أَخًا مَطْمَعٍ تَرَانِي

وَهَبْ إِذَا كُنْتَ لِي وهوبًا مِنْ بَعْضِ أَخْلاَقِكَ الحِسَانِ

و قال في أبي محمد المافروخي:

لاَ تَنْظُرَنَّ إِلَى تَتَعْتُعِهِ إِذَا رَامَ الكَلاَمَ وَ لَفْظِهِ المعْتَاصِ

وَانْظُرْ إِلى الحِكَمِ التي يَأْتِي بِها تُشْفِيكَ عِندَ تَطَلُّقٍ و خَلاَصِ

فالدرُّ لَيْسَ يَنَالُهُ غَوَّاصُهُ حَتَى تَقَطُعَ أَنْفُسُ الغَوّاصِ

وفاته:

لقد كان شاعرنا الآمدي من المتحمسين إلى الشعر و النقد ،و قيل عنه"كان كثير الشعر،حسن الطبع، جيد الصنعة،مشتهرا بالتشبيهات"[83] و الدليل على هذا القول مؤلفاته التي بقيت، وكانت وفاته سنة 370هـ

[82] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء2، الصفحة852-853

[83] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة الهنداوي،ص334

ت) عبد العزيز الجرجاني

علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، أبي الحسن قاضي الري[84] كان بصيرا بالأدب و الفقه و الشعر، "كان فقيها أديبا شاعرا"[85] كان راويا للشعر كثيرا ،اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته فمنهم من قال ولد سنة 290هـ ويقال أنها الأصح و قيل أنه ولد في سنة 322هـ، في مدينة جرجان ،و هي مدينة مشهورة بين طبرستان و خرسان، و كان لهذه المدينة تأثير على عبد العزيز الجرجاني.

عرف أيضا بذكائه و قدرته على اكتساب العلوم ، لم يكن له علاقة بالسياسة بالرغم من توليه منصب القضاء ، فقد كان يسير في البلاد طالبا للعلم فقط وهذا دليل على اتصاله بعصره اتصالا وطيدا ،و هذا من الناحية العلمية كون عصره عرف نهضتا علميتا ضخمة و هو صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي و خصومه وضعه على شكل مقالات ،تناول فيه التفاضل و دعى إلى ترك الحسد الذي يولد الخصام، ثم ينتقل ليتكلم عن موقف أهل كل شاعر على حدا ،و المنقسمين بدورهم إلى مؤيدين

و معارضين ، ثم ينتقل بالكلام إلى الشعر و يذكر عدة قضايا كانت متداولة ،في ذلك الوقت و إضافتا على هذا الكتاب، الذي جمع فيه بعض العلوم كالأدب و الشعر والنقد نجد أن الجرجاني كان عالما بعلوم أخرى، و الفضل هنا يعود إلى البيئة التي نشأ فيها و التي كانت "تؤهل من عنده استعداد لأن يبرز في العلم و الأدب"[86] و أخذ من العلوم:التفسير ، التاريخ، الفقه،النقد، الشعر، الأدب اللغة، المعاني، النحو، العروض مما ساهمت في شهرته"ذاع اسم القاضي في أرجاء العالم الإسلامي بما نثر و نظم و ألف"[87].

[84] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء4، الصفحة1796

[85] شمس الدين أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، الجزء3، الصفحة278

[86] بدوي أحمد أحمد، القاضي الجرجاني، دار المعارف، ط2، الصفحة23

[87] المرجع نفسه،الصفحة 29

أساتذته:

أما فيما يخص أساتذته و تعليمه، فليس هناك دليل قاطع يذكر أنه تتلمذ على يد أساتذة أو أدباء معينين، لأنه كان دائم الترحال، لطلب العلم، بمعنى أن عدد العلماء و الأدباء و أسماء الذين تعلم عندهم لا يحصى، فزمانه عرف كم هائل من العلوم و العلماء، إلا أنه قيل أن الجرجاني "اتصل بابن عباد و قابوس"[88] و هذان الشخصان هما:

– إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد الوزير الملقب بالصاحب[89]من أهل طالقان، كان دينا خيرا مقدما في صناعة الكتابة ، اشتهر بالعلوم، كان وزيرا لمؤيد الدولة أبي منصور بويه ، و يقال أنه"عرج على حضرة الصاحب و ألقى بها عصى المسافر،فاشتد اختصاصه به و حل منه محلا بعيدا في رفعته"[90]

– قابوس بن وشكمير بن زياد الديلمي الملقب بشمس المعالي[91] من الملوك، كان صاحب جرجان و طبرستان، و كان فاضلا أديبا مترسلا شاعرا ظريفا و له رسائل وكان بينه و بين الصاحب ابن عباد مكاتبة.

مؤلفاته:

و على سيرة التأليف نذكر بعض المؤلفات التي ألفها القاضي الجرجاني[92]

1. تفسير القرآن المجيد
2. كتاب في الوكالة
3. تهذيب التاريخ
4. الأنساب

[88] بدوي أحمد أحمد، القاضي الجرجاني، الصفحة17

[89] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء2، الصفحة 662

[90] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، الصفحة 361

[91] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء5، الصفحة2181

[92] بدوي أحمد أحمد، قاضي الجرجاني، الصفحة42-43-44

5. رسائل
6. الوساطة بين المتنبي بين المتنبي و خصومه
7. ديوان شعر

و من خلال عناوين كتبه نلاحظ أنه قد خصص كل تأليف بميدان من العلوم التي عرفها الفقه تاريخ الرسول وغيرها.

وفاته:

بما أننا وجدنا اختلاف في سنة ولادته فلابد من أن نجد اختلاف في تاريخ وفاته،(قيل أنه توفي في 366هـ و هناك من قال أنه توفي سنة 392هـ)[93] في نيسابور و دفن في مسقط رأسه بجرجان.

أشعار عبد العزيز الجرجاني

قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في ميمية مشهورة[94]

بِأَيَّامِنَا بَيْنَ الكَثِيبَيْنِ فَالحِمى وطِيْبِ لَيَالِينَا الحَمِيدَةِ فِيهِمَا

وَوَصْلٍ وَصَلْنَا بَيْنَ أَعْطَافِهِ المِمنى بِرَدِّ زَمَانٍ كَانَ لِلَّهْوِ تَوْأَمَا

صَحِبْنَا بِهِ شَرْخَ الشَّبَابِ فَدَلَّنَا عَلَى خُلَسٍ أَفْضَى إِلَيْهِنَّ نُوَّمَا

فَلَمْ نَرْضَ فِي أَخْلاَقِنَا النُّصْحَ مَذْهَبًا ولاَ اللَّوْمَ فِي أَسْمَاعِنَا مُتَلَوَّمَا

إِذا شَاءَ غاوٍ قادَ لَحْظًا مُوَزَعًا عَلَى غَيِّهِ أَو شافَ قَلْبًا مُقَسَّمَا

أَعِنِّي على العُذَّالِ أَو خَلِّ بَيْنَنَا تُرِيْكَ دُموعِي أَفْصَحُ القَوْلِ أَبْكَمَا

[93] شمس الدين بن خلكان،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان،الجزء3،ص278 و بدوي أحمد أحمد، القاضي الجرجاني،الصفحة23

[94] إبراهيم صالح، ميمية القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز،مجلة مجمع اللغة العربية،المجلد79،الجزء4،دمشق،الصفحة795

و طَيْفٍ تَخَطَّت أَعْيُنُ النَّاس و الكرَى إلى نَاظِرٍ يَلْقى التَّبَارِيحَ مِنْهُمَا

تَنَسَّمَ رَيَّاهُ وَبَشَّرَهُ بِهِ تَنَاقُصُ ضَوْءِ البَدْرِ في جِهَةِالحِمَى

وَ عَزَّ عَلَى العَيْنَيْنِ لَوْ لَمْ تُرَغَّبا مِنَ الطَّيْفِ في إِلمَامَةٍ أَن تُهَوِّما

الفصل الثاني

مواطن الاختلاف و الاتفاق

- **من منظور الجاحظ:**
- **بين ابن قتيبة والجاحظ:**

ابن قتيبة:

لقد كان من الشعراء الذين حاولوا التجديد في شعر زمانهم ،و يعتبر مرآة يعكس بها ثقافة عصره وعصارة فكره ،كونه نشأ في بيئة تزخر بالعلم و المعارف ،أخذها على يد العديد من الفقهاء والعلماء و تتجلى هذه الثقافة، في مؤلفه الشعر و الشعراء،وله نصيب في النقد بحكم أنه عالج العديد من القضايا النقدية و البلاغية.

الجاحظ:

أما الجاحظ فقد عاصر عصر ازدهار الأدب ،وأصبح من أهله بفضل كثرة تردده على المراكز التي كان يلتقي العلماء و الشعراء، تلقى العلم عند بلغاء اللغة وهو لا يزال صغيرا ،شغف بالعلم و الأدب حتى أصبح عالم زمانه عالج الكثير من المواضيع، لها علاقة سواء بحياة العرب الاجتماعية أو الثقافية ،كما اهتم بكلام العرب و بالنقد والبلاغة وغيرها من العلوم ،ويتضح ذلك من خلال تعدد و كثرة مؤلفاته.

أما ما يهمنا من كل هذا، الجزء الذي يعنى بالنقد فقط، فهدفنا هو البحث عن مواطن الاختلاف والاتفاق بين ابن قتيبة و الجاحظ، من خلال القضايا النقدية عند كلاهما والجدول التالي يوضح ذلك :

فعند قراءتنا لهذا الجدول نرى أن القضايا النقدية، عند ابن قتيبة هي نفسها عند الجاحظ لكن لبأس

القضايا النقدية عند الجاحظ	القضايا النقدية عند ابن قتيبة
اللفظ والمعنى	اللفظ والمعنى
الطبع	الطبع
السرقات الشعرية	السرقات الشعرية

فأنا تعمدت هذا الاختيار بضبط حتى يتضح لنا مدى اتفاقهما واختلافهما في كل قضية .

القضايا النقدية بين ابن قتيبة و الجاحظ:

اللفظ و المعنى:

عند ابن قتيبة:

أول ما يلفت انتباهنا عند ابن قتيبة هو تقسيمه للشعر إلى أربعة اضرب[1] :

- ضرب حسن لفظه و جاد معناه.
- ضرب حسن لفظه و حلا، فإذا فتشته لم تجد فائدة في المعنى.
- ضرب جاد معناه و قصرت ألفظه عنه.
- ضرب تأخر معناه و تأخر لفظه.

فما علينا إلا أن نقول إن اللفظ والمعنى لا يجتمعان عند ابن قتيبة، إلا في حالة واحدة وهي الضرب الأول الذي يقصد بحسن اللفظ الوزن والروي أو الأسلوب،أما المعنى معنى البيت ويتضح هذا الشرح في تعليقه على أبيات المرقش.

قول المرقش[2]:

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ لَوْ أَنَّ حَيًا نَاطِقًا كَلِمْ

يَأْتِي الشَّبَابُ الأَقْوَرِيْنَ وَلاَ تَغْبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ

[1] ابن قتيبة،الشعر و الشعراء ، دار المعارف ،1982،الصفحة64-66-68-69،

[2] المرجع نفسه، الصفحة 72

"و العجب عندي من الأصمعي ،إذ أدخله في متخيره، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متخير اللفظ ولا لطيف المعنى "[3] لهذا نقول أنه من الصعب إمكانية تحديد إلى أي جهة يميل ابن قتيبة هل إلى اللفظ أم إلى المعنى أم كلاهما.

عند الجاحظ:

وكان للجاحظ حظ في هذه القضية، ويوضحه أكثر في قوله(أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، فإذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صيغ الغيث التربة الكريمة)[4] ونلاحظ في هذا القول أن اللفظ و المعنى، مجتمعان عند الجاحظ أحدهما يخدم الآخر رغم أنه من أنصار اللفظ، لكنه لم يهمل المعاني بل أعطاها نصيبها من أفكاره.

لذا نقول أن ابن قتيبة والجاحظ قد اختلفا في هذه القضية فالأول لم يظهر إلى إي جانب أميل والثاني هو من أنصار اللفظ لكنه خرج عن مألوفه.

قضية الطبع:

ابن قتيبة (الطبع و التكلف)

لقد قام ابن قتيبة بتقسيم الشعراء في هذه القضية أيضا، حيث قسمهم إلى صنفين متكلفين ومطبوعين، وقد أشار إلى هذا التقسيم محمد مندور، في كتابه النقد المنهجي عند العرب، حيث نجده قد عرّف كل صنف على حدا فقال عن المتكلف(فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، و نقحه بطول التفتيش، و أعاد فيه النظر بعد نظر، كزهير والخطيئة لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين) [5]حصر نظرته إلى الشعر المتكلف أنه يقوم بتقييم الشعر والثقافة، وأظن انه يقصد موهبة

[3] ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، الصفحة 72

[4] الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر ا، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،ط 7،ج1، 1998ص83(بتصرف)

[5] ابن قتيبة، الشعر والشعراء،ص78(بتصرف)

الشاعر في كتابة الشعر، و زاد على ذلك في موضع آخر أن هناك أسباب تبعث الشاعر على نظم مثل هذا الشعر.

و هي "الطمع و منها الشرف و منها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب"

ثم ينتقل إلى الشاعر المطبوع فيقول عنه"المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر و اقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه، و في فاتحته قافيته، و تبينت على شعره رونق الطبع و وشي الغريزة، و إذا امتحن لم يتلعثم"[6]

و هنا يتضح الأمر أنه يوجد اختلاف أي الشعر المتكلف يختص بالغرض دون أن يلفت النظر إلى باقي مكونات الشعر أما المطبوع فهو يميط اللثام على كل مكونات الشعر(بناء القصيدة) شكلا و مضمونا كما إن ابن قتيبة ينحاز إلى هذا الجانب رغم توسعه في الكلام عن التكلف.

كما أنه يشير في موضع آخر أن الشعراء المطبوعين ليسوا سواسية "والشعراء أيضا في الطبع مختلفون:منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له المراثي و يتعذر عليه الغزل"[7]بمعنى أن لكل شاعر و طبعه وكل شاعر و غرضه.

الجاحظ (الطبع و الصنعة):

لقد أشرنا سابقا أن الجاحظ من أنصار اللفظ، فمن الطبيعي نجده يهتم بالطبع فهو يقول"رأس الخطابة الطبع ،وعمودها الدربة ،و جناحها رواية الكلام، و حليها الإعراب، و بهائها تخير الألفاظ، و المحبة مقرونة بقلة الاستكراه"[8] يشير لنا في هذا القول أنه فضل الطبع و جعله لا يتوافق مع الصنعة المستكرهة التي تؤدي إلى العيوب.و يقول أيضا أهل الطبع"مذهب المطبوعين، الذين تأتيهم المعاني

[6]ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، الصفحة 90

[7]المرجع نفسه، الصفحة93-94

[8]الجاحظ،البيان والتبيين،ج1،الصفحة44

سهوا و رهوا، و تنثال عليهم الألفاظ انثيالا"[9] فشعراء المطبوعين لا يعتمدون على الأشياء الخارجية بل هم منقادون بأفكارهم ومقتنعين بتعبيرهم .

ثم ينتقل إلى التكلف ليقول عمرو بن عبيد "لا خير في متكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه و إذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف، و لا خير في شيء يأتيك به التكلف"[10]وكأنه يوجه لنا دليل على نبذه للتكلف ففي الإطالة قبح و مستكره.

أما بالنسبة لأصحاب الصنعة فقط كناهم الجاحظ، باسم آخر"لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الألفاظ"[11] فالكنية التي قصدها هي عبيد الشعر، كما نجده قد جمع بين التكلف و الصنعة ويرى في أهل الصنعة الإطالة "ومن الشعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا، وزمن طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، و يقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله،و تتبعا لنفسه فيجعل عقله، زماما على رأيه ،و رأيه عيارا على شعره ،إشفاقا على أدبه" فالشعر عند أصحاب الصنعة، جهد و إعمال للعقل وعدم اقتناعهم بأفكارهم، إلا بعد تكرار و إعادة نظر على عكس أهل الطبع الذين تأتيهم الألفاظ سهوا.

أما الجاحظ نجده يفضل الطبع عن التكلف ،لأن الأول خال من المستكره القبيح ،و يصدر عن ثقة لكن الثاني لا ،ونستنتج أن ابن قتيبة و الجاحظ اتفقا في هذه القضية فكلاهما فضل الطبع على التكلف كونهما من أنصار اللفظ.

[9] الجاحظ،البيان و التبيين، ج2،الصفحة13

[10] المرجع نفسه، ج 1، الصفحة 115

[11] المرجع نفسه، ج2، الصفحة13

السرقات:

ابن قتيبة:

على حسب ما اطلعنا عليه ،فإن السرقات لم تكن منبوذة عند ابن قتيبة، فهو يقول "قلما يخلو شاعر من شعراء الجاهلية من الإغارة على شعر غيره أو إغارة غيره على شعره" [12]

فهناك أبيات شعرية كثيرة مأخوذة عن بعضهم البعض، مثل :بيت لامرئ القيس أخذه طرفة بن العبد

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

طرفة بن العبد:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَ تَجَلَّدِ

فالاختلاف هنا فقط في الروي ،وهناك أمثلة كثيرة على هذا النحو فالسرقة كانت متداولة وابن قتيبة أخذها بموقف عادي لم يثر لا عليها ولا ضدها .

الجاحظ:

و قد أشارت الدراسات السابقة إلى استخدام الجاحظ لمصطلح السرقة بصيغة مباشرة و غير مباشرة، و يتضح ذلك في قول صريح من الجاحظ، عن أخد الشعراء بعضهم معاني بعض و لم يطل في الكلام عن هذه القضية "لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكا فيه"[13] و هذا قول موجز لأصناف السرقات، و التي تمثلت في الألفاظ و المعاني معا، ومنه ما

[12] ابن قتيبة،الشعر و الشعراء، ص 62-63

[13] أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ،الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،ط2، مصر،ج3، 1965، ص311

يكون متفرعا عليهما ،وفي تتمة هذا القول يظهر تعصبه ضد هذه القضية ،كما نفهم من اختصاره لهذه القضية رفضه التام لسرق.

وما نلحظه من خلال هذه المقارنة بين ابن قتيبة و الجاحظ، في قضية السرقات أن الأول لم يظهر رأيه، لا بالرفض و لا بالقبول، وبتالي نعتبره حل وسط ،أما الثاني فقد رفضها رفضا تاما لا رجعت فيه و بتالي نقول عن ناقدينا أنهما اختلفا.

- **من منظور الآمدي:**

بما أن الناقد محمد منذور أشار لنا سابقا، بأن النقد المنهجي قد بدأ في القرن الرابع الهجري ،وتحديدا عند الآمدي و القاضي الجرجاني، و اعتبر كتابي **الموازنة و الوساطة** من المخلفات الصحيحة للنقد المنهجي، فإننا ارتأينا أن نبحث عن مواطن الاختلاف والاتفاق عند هذين الناقدين في مختلف القضايا التي يشتركان فيهما.

- **بين الآمدي و الجرجاني:**

نجد أن ناقدينا قد تناول كلا منهما خصومة تدور حول موضوع ما، إلى حد الآن الناقدان متشابهان لكن عندما نعود إلى الموضوع الخصومة ،ندخل في الاختلاف لأن الآمدي كان يعتمد على الموازنة في منهجه، بينما الجرجاني باعتباره قاض فقد كان يعتمد على الوساطة في منهجه.

فالموازنة:هي"المفاضلة بين شاعرين أو كاتبين، أو عملين أدبيين أو أكثر للوصول إلى حكم نقدي."[14] ومن هذا المنطلق كان للآمدي كتاب في **الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري** ، وكان لهذه الموازنة سبب في قيامها، وهي الخصومة التي كانت بين أنصار أبي تمام وبين خصومه

[14] احمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص373

فأبي تمام كان من أصحاب البديع و أهل الصنعة الذين يناشدون بالحديث، أما البحتري فكان من أهل الطبع المهتمين بالقديم .

و قد كان الآمدي ينظر في الصياغة و التعمق في المعنى، و يوازن بين شعر كل منهما دون أن ينحاز إلى أي شاعر أو مذهبه الخاص به.

أما بالنسبة إلى الوساطة: فالمقصود بها"أن يدخل الناقد بين أطراف متنازعة ليحكم لواحد أو لجماعة منها"[15] وهذا ما قام به القاضي الجرجاني، في كتابه **الوساطة بين المتنبي و خصومه**، إلا أن هذه الخصومة تختلف عن سابقتها فالأولى كانت تحوم حول مذهب ،أما الثانية فكانت ترتكز على أمور شخصية تمس أصالة المتنبي، ومن هذه الخصومة اتخذ الجرجاني منهجا مختصره"يقيس الأشباه و النظائر"[16] بمعنى يقيس شعر المتنبي بشعر السابقين له ،مطبقا أسلوب القضاة في إصدار الأحكام .

و بعد أن تطرقنا إلى تعريف مصطلحي الموازنة و الوساطة وبينا مدى اختلاف منهج كل من الآمدي و الجرجاني ندخل الآن في تفصيل قضايا مواطن الاختلاف و الاتفاق عند كل منهما دون أن ننسى بأن نعتبر الخصومات أيضا من القضايا :

و الناظر إلى هذا الجدول يتضح له من الوهلة الأولى أن ناقدينا قد تشابها في بعض القضايا لكن هل اتفقا في طريقة تناولهما لهذه القضايا؟ هذا ما سنعرفه .

[15] أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، الصفحة459

[16] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ،ص256

القضايا النقدية التي عالجها الآمدي	القضايا النقدية التي عالجها الجرجاني
اللفظ و المعنى	اللفظ و المعنى
السرقات الشعرية	السرقات الشعرية
عمود الشعر	عمود الشعر
قضايا نقدية أخرى	قضايا نقدية مختلفة

قضية اللفظ والمعنى:

لقد غلبة هذه القضية على فكر علماء الشعر حيث كانوا يعتبرونها مقياسا لجودة الشعر، من بينهم الآمدي ثم عبد العزيز الجرجاني.

عند الآمدي: فقد عقد الآمدي موازنته بين أبي تمام و البحتري، ابتداء من هذه القضية مستخدما مقياس "الذوق و تقاليد العرب و الحقائق النفسية و أصول اللغة و وسائل الأداء"[17] ومن خلال موازنته بين أبيات أبي تمام و البحتري خلص إلى صنفين من الشعراء :

الصنف الأول أبي تمام من أهل الصنعة (الحديث) ،الذين اهتموا بالألفاظ الغريبة و الصور والتفلسف في المعاني، بينما الثاني كان البحتري من أنصار الطبع (القديم) الذين اهتموا بالعبارة والمعاني القريبة.

ونستنتج من هذا التصنيف إن الآمدي قد فرق بين الألفاظ و المعاني، وفي نظره البحتري (يتجنب التعقيد و مستكره الألفاظ و وحشي الكلام و يتعمد حذف الغريب و الوحشي من شعره)[18] أما رأيه في أبي تمام كان (يستكره الألفاظ و المعاني بل انه تعمد أن يدل في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب، فتعمد إدخال ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره)[19] ونفهم من هذين القولين

[17] محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة،ص150

[18] وحيد صبحي كبابه ،الخصومة بين الطائيين و عمود الشعر العربي،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،1997،ص33 بتصرف

[19] المرجع نفسه ، الصفحة 33بتصرف

،أن البحتري اعتنى بالألفاظ و أبي تمام اهتم بالمعاني، دون أن ننسى بأن نشير إلى "كثير من الناس جعلهما طبقة و ذهب إلى المساواة بينهما"[20] بالرغم من أن الاختلاف بينهما واضح .

أما تهمة البحتري من قبل أنصار أبي تمام، بأنه تأثر بهذا الأخير و أنه أخد عنه بعض المعاني "إن البحتري أشعر من أبي تمام و عن أبي تمام أخد،و على حذوه احتذى، و من معانيه استقى،وتتلمذ له"[21] وأن البحتري قال معترفا أن"جيده خير من جيدي و رديئي خير من رديئه"[22] ،بمعنى أن البحتري فد فضل أبي تمام عن نفسه ،و قد ساهمة هذه المفاضلة في فهم الآمدي لقضية اللفظ و المعنى، و ذلك بعد المحاجة التي أقامها على إثر هذا التفضيل، ففي نظره أخد البحتري من معاني أبي تمام ،ليس سببا كافيا لتفضيله على غيره مستدلا بعدد من الشعراء، الذين أخذوا معاني أو ألفاظ ولم يتم تفضيلهم، أمثال كثير و جميل وقال"هذه خلة لا توجب لكم تفضيل أبي تمام على البحتري من أجل أنه أخد شيئا من معانيه"[23] مرجعا سبب التفضيل الذي أقامه البحتري على نفسه، بحسب مفهوم أنصار أبي تمام بأنها حجة له، وذلك يعود إلى مستوى الشعر"قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام شديد الاختلاف ،و شعره شديد الاستواء،و المستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر"[24]وبالتالي ما علينا إلا إن نقول بما أن الشعر صناعة على حد قول ابن سلام الجمحي يجب أن تبدأ باللغة ثم تنتقل إلى الألفاظ و تختتم بالمعنى.

عند عبد العزيز الجرجاني:

أما الجرجاني اتخذ من قضية اللفظ و المعنى معيارا ،يفاضل به بين الشعراء مشيرا إلى ذلك في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه بقوله:"إنما كانت العرب تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، و جزالة اللفظ و استقامته،و تسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب،و شبه فقارب

[20] الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ،الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري،تحقيق أحمد صقر،دار المعارف،ط4،ج1،ص4

[21] المرجع نفسه، الصفحة 6

[22] المرجع نفسه، الصفحة 11

[23] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[24] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

و بده فأغزر،ولمن كثرت سوائر أمثاله و شوارد أبياته ،و لم تكن تعبأ بالتجنيس و المطابقة ،و لا تحفل بالإبداع و الاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر،ونظام القريض"[25] ففي هذا القول يجمع بين اللفظ و المعنى ،مشيرا إلى دلالة كل منهما في الشعر و كأنه يشير إلى قيم الشعر أو يريد بذلك مميزات الأسلوب اللين الخال من الخشونة.

وكخلاصة علينا أن نقول أن الآمدي و الجرجاني اختلافا في قضية اللفظ و المعنى فالأول أعطى الأولوية للفظ وجعل المعنى ثانوي أما الثاني فقد جمع بين اللفظ و المعنى.

قضية السرقات الشعرية:

هي قضية قديمة قدم الشعر، لكنها لم تثر الضجة كالتي أثارتها في العصور التي تلت العصر الجاهلي، وشغلت حيزا واسعا بخلاف القضايا النقدية الأخرى.

عند الآمدي:

اتخذها الآمدي معيارا نقديا في الموازنة بين شعر الشعراء، بنظرية تقول أن "السرق لا يكون إلا في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر و أنه لا سرقة في العام المشترك من المعاني و الألفاظ المباحة الشائعة "[26] ،ابتدأ حديثه عن السرقات عند أبي تمام، والتي أرجع سبب كثرتها إلى شغف أبي تمام بالشعر منذ الصغر "كان أبي تمام مستهترا بالشعر شغوفا به،مشغولا مدة عمره بتبحره و دراسته"[27]ذاكرا كتب اختياراته ،وكأنها دليل على سعة اطلاعه لكن عند اطلاعنا على السرقات التي أوردها، نجد أن الآمدي لم يلتزم بمبدأ محدد ولم يدرج هذه المبادئ ،قبل السرقات بل جعلها متناثرة معيارين أدرجهما في محاجته على المتخاصمين، وهما معيار البيئة و معيار السمع في قوله"لا ننكر أن يكون قد استعار بعض معاني أبي تمام، لقرب البلدين ، و كثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعر

[25] علي بن عبد العزيز الجرجاني ،الوساطة بين المتنبي وخصومه،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،علي محمد البجاوي،مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه،1966،ص33-34

[26] محمد مندور ،النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة،ص366

[27] الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ،الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ،ص58

أبي تمام فيعلق شيئا من معانيه، معتمدا للأخذ أو غير معتمد"[28]وكأنه يريد أن يقول أن كثرة إطلاع أبي تمام على شعر السابقين، أدت إلى كثرة سرقته دون أن يقصد ذلك.

أما باقي المعايير[29] هي :

- سرقات المعاني ليست من كبير مساوئ الشعراء و خاصة المتأخرين.
- اختلاف الغرض ينفي السرقة وإن كان جنس المعنيين واحدا.
- السرقة الممدوحة والأخذ الحسن وهنا يتفق مع الجرجاني.

ونجد الآمدي قد ذكر السرقات في نوعين محاسن و مساوئ، لكن دون أن يظهرها أو يفصل فيها وذكر نوع من السرقة ،دون أن يبين موقفه منها و نذكر بعض الأمثلة[30] منها:

قال مسلم بن الوليد:

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ

أخذه الطائي فقال:

وَقَد ظُلِّلَتْ عُقْبَانُ أَعْلاَمِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

وهنا أقر الآمدي بأن الطائي زاد في المعنى بالحسن(مزينة بالبديع) ،و أخطأ بقوله في دماء النواهل و النهل هو موضع الشرب، والمقصود هنا شرب العقبان الدماء وهذا هو الخطأ لأنها لا تشرب الدم بل تأكل اللحم.

[28] الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ،الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، الصفحة8

[29] محمد مصطفى هدارة ،مشكلة السرقات في النقد العربي،،مكتبة الأنجلو المصرية ،1958،ص 132-133

[30] المرجع نفسه ،ص65-66

وقيل أن هذا المعنى أول من سبق إليه الأفوه الأودي بقوله

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رُأْيَ عَيْنٍ ثِقَةٍ أَنْ سَتُمَارُ

فتبعه النابغة فقال:

إِذَا مَا غَزَوا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوقَهُم عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

جَوَانِحَ قَد أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيْلُهُ إِذَا مَا الْتَقَى الجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

ثم ننتقل إلى المساوئ ونجد بعضها عند أبي نواس[31]:

فَالْخَمْرُ يَاقُوتَةٌ و الْكَأْسُ لُؤْلُؤَةٌ مِنْ كَفِّ لؤلؤة مَمْشُوقَةَ القَدِّ

أخده أبو تمام فقال و أساء:

أَوْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حَبْلاً عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ

أفسد المعنى بقوله (أطبقت حبلا)كلام مستكره قبيح.

والملاحظ من خلال الاطلاع على المواقف التي يبديها الآمدي نحو السرقات، سواء من المحاسن أو من المساوئ ،نراه كما لو أنه يبين أو يريد أن يضع أضربا لكل نوع من السرقات.

أما نوع الذي لم يفصل فيه ولم يبين موقفه، دليل على أنه لم يطبق تلك المعايير التي تحدثنا عنها سابقا مثل:[32]

[31]الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ،الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري،ص68

[32]الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري،الصفحة 89

قال مسلم بن الوليد:

تَمْضِي المنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فِي سِرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامَا

أخده أبو تمام فقال:

فَتًى مِنْ يَدَيْهِ البَأْسُ يَضْحَكُ وَ النَّدَى وَفِي سِرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ

وقول ابن هرمة:

اسْتَبْقِ عَيْنَيْكَ لاَ يُودِ البُكَا بِهِمَا وَ اكْفُفْ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ

لَيْسَ الشُّؤُونُ و إِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلاَ الْجُفُونُ عَلَى هَذَا ولاَ الحَدَقُ

أخده أبو تمام فقال:

وَ لاَ يَبْقَى عَلَى إِدْمَانِ هَذَا وَلاَ هَذَا، العُيُونُ وَلاَ القُلُوبُ

والملاحظ أيضا في السرقات التي أخرجها" ابن أبي طاهر للسرقة و هي ليست من السرقة أن الآمدي قد طبق في تحليلها كل تلك المعايير التي أقرها في السابق تطبيقا عمليا"[33]

أما بالنسبة إلى السرقات التي كانت على البحتري، نجد أن الآمدي لم يركز عليها كثيرا ،لأن البحتري في نظر الآمدي "نسبه إلى حلاوة اللفظ ،وحسن التخلص،و وضع الكلام في مواضعه و صحة العبارة، وقرب المأتى"[34] فقد أخد في ذكرها فقط دون أن يبين فيها أي موقف ،مشيرا أنه أخدها من صحيح ما أخرجه أبو الضياء ،كقول أبي تمام[35]:

[33]محمد مصطفى هدارة،مشكلة السرقات في النقد العربي،ص 132

[34]الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ،الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري،ص 4

[35]المرجع نفسه، الصفحة 324-325

وَ إِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لهَا لِسَانَ الحَسُودِ

فقال البحتري:

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلَلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ

و برغم من أن أنصار البحتري لم ينكروا أن شاعرهم أخذ من معاني أبي تمام ،لكنهم برروا بأنها جاءت عفوية بحكم البيئة والسمع وهذا ما أشرنا إليه سابقا.

فنجد الآمدي في تناوله للأبيات التي قيل أنها مسروقة من أبي تمام على حسب قول أبي الضياء يرى أن أبا ضياء "استكثر من هذا الباب، وخلط به ما ليس من السرق في شيء، ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب ، و أتى بضرب آخر ادعى أيضا فيه السرق و المعاني مختلفة، و ليس فيه إلا اتفاق ألفاظ"[36] ومن هنا يمكننا القول أن الآمدي كان يفند، و يبين نوع الاختلاف الذي يجده بين أبيات أبي تمام و أبيات البحتري، و وجد أغلب اتفاقهما يصب في اللفظ وقد أشرنا سابقا أن السرقة عند الآمدي ليست في الألفاظ،مثال:قول أبي تمام[37]:

فَأَذَرْتُ جُمَانًا مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَا عَلَى الصَدْرِ إِلَّا أَنَّ صَائِغَهَا الشَفْرُ

قول البحتري:

جَرَى فِي نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْهَا جُمَانٌ يَسْتَهِلُّ عَلَى جُمَانِ

فهنا موقف الآمدي الاتفاق في لفظة جمان

و شيء الذي يلفت نظرنا هو أبا الضياء اعتبر كل اشتراك في المعنى و الألفاظ من السرقة.

[36] الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، الصفحة 346

[37] المرجع نفسه ، الصفحة 368-369

وخلاصة هذه القضية عند الآمدي السرقة لها قوانين تسير وفقها لا يمكن لأي دارس أو ناقد أن يعرج على هذه القضية دون اطلاعه على هذه القواعد.

عند عبد العزيز الجرجاني:

فور اطلاعنا على مؤلف هذا الناقد البصير"الوساطة بين المتنبي و خصومه"، نجد أنه قد تناول قضية السرقات،وخصص لها كم لبأس به من صفحات كتابه، حيث يبدأ من الصفحة (183الى 216).

مهد لهذه القضية بمقدمة جمع فيها قواعد السرقة، وهي نفسها التي أشار إليها سابقه الآمدي و إن صح لنا القول، أنه قد سار حذوه مع بعض التغير "وهذا الباب لا ينهض به إلا الناقد البصير ،و العالم المبرز . و ليس كل من تعرض له أدركه، و لا كل من أدركه استوفاه و استكمله. ولست تعد من جهابذة الكلام ، ونقاد الشعر، حتى يميز بين أصنافه و أقسامه ،و تحيط علما برتبه و منازله فتفصل بين السرق و الغصب، وبين الإغارة و الاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه،والمبتذل الذي ليس أحد أولى به،و بين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه"[38]

فمن خلال هذا القول نجد الجرجاني يدقق في شروطٍ رأى وجوب توفرها في الناقد الذي يتناول السرقات بإمعان ، حتى يتمكن من التمييز بين أنواعها ،ثم يؤكد على بعضها حيث تناولها كعناوين في صفحات كتابه، و على ذكر الأنواع يقول عنها محمد مصطفى هدارة"نجدها مجتمعة عنده لأول مرة فالنقاد المتقدمون قد استخدموا بعض هذه المصطلحات و أثبت القاضي بعضها الآخر لأول مرة "[39]وهذا دليل التغير و التطور الذي أضافه الجرجاني عن سابقيه ،ويقول مندور في هذا الموضوع

[38]علي بن عبد العزيز الجرجاني ،الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص183

[39]محمد مصطفى هدارة،مشكلة السرقات في النقد العربي،ص 123

"فالجرجاني ،يرفض أن يرى سرقة في الألفاظ و الاصطلاحات المشتركة العامة،كما رفض أن يراها في المعاني المشتركة العامة،لأن الألفاظ منقولة متداولة و إنما يدعى ذلك في اللفظ المستعار أو الموضوع "[40]وهذا اختصار من مندور لقواعد السرقة عند الجرجاني.

أما فيما يخص قواعده التي أقرها في السرقة فهي عديدة وقد سبق أن ذكرها محمد مصطفى هدارة بالتفصيل في كتابه"مشكلة السرقات في النقد الأدبي" نذكر البعض منها[41]:

- تعدد أصناف السرقات.
- السرقة ليست في الألفاظ و المعاني فقط.(اتفاق مع الآمدي)
- خالف السابقين الذين أقروا بالسرقة جزافا بذكر أدلة.
- تعدد أنواع السرقة الممدوحة.
- يقدم المعنى في بعض الأحيان.
- اعتماد الشعراء على معاني القرآن.

ثم تطرق إلى ما تم ادعاء السرقات فيه عند مجموعة من الشعراء و ذلك إثر اطلاعه على ما قاله" أحمد بن أبي طاهر و أحمد بن عمار من سرقات أبو تمام ،وتتبعه بشر بن يحي على البحتري ،و مهلهل بن يموت على أبو نواس "[42]

أبو نواس :

طَوَى الموْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ محمدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي المنِيَّةُ نَاشِرُ

وقول البطين البجلي:

طَوَى الموْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّةٍ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ

[40]محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة،ص293

[41] محمد مصطفى هدارة،مشكلة السرقات في النقد العربي 122-131

[42] علي بن عبد العزيز الجرجاني،الوساطة بين المتنبي وخصومه،ص209

رأى الجرجاني في هذين البيتين ألفاظ متداولة لا تصح فيها السرقة.

وما نلاحظه من خلال الأمثلة التي أوردها الجرجاني كان يخالفهم في الرأي ويبين لنا بعض المواقف التي تصح فيها السرقة.

ثم نأتي إلى ما ادعى فيه سرقات المتنبي (اتهم من قبل خصومه بالسرقة) وهي كثيرة فقد اخدت أكبر قدر من كتاب الوساطة نذكر بعضا منها:

عبد الله بن طاهر[43]:

إِنَّ الفُتُوحَ عَلَى قَدْرِ المُلُوكِ وَ هِمَّاتِ الوُلاَّةِ وَ أَقْدَامِ المَقَادِيرِ

أبو الطيب:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَ تَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ المكَارِمُ

و قال العباس بن الأحنف[44]:

بَكَتْ غَيْرَ آنِسَةٍ بِالبُكَا تَرَى الدَّمْعَ في مُقْلَتَيْهَا غَرِيبَا

أبو الطيب:

أَتَتْهُنَّ المصِيبَةُ غَافِلَاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ في دَمْعِ الدَّلاَلِ

و هنا يرى الجرجاني في المتنبي أنه قد زاد في المعنى بقوله الدلال

أبو عيينة:

لَو كَمَا تَنْقُصُ تَزْدَا دُ إِذًا نِلْتَ السَّمَاءُ

[43] علي بن عبد العزيز الجرجاني،الوساطة بين المتنبي وخصومه ،ص228

[44] المرجع نفسه ، ص228

فنقله أبو تمام:

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إذن لَنَفِذْتَ فِي عِلْمِ الغُيُوبِ

أبو الطيب:

لَو نَقُصْتَ كَمَا قَد زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الوَرَى لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكَا

وهنا أيضا زاد المتنبي في المعنى .

وما نستنتجه من طريقة الجرجاني في نقده لخصوم المتنبي، و بحكم مكانته مع القضاة،وكما أشرنا سابقا في منهج الجرجاني بأنه يقيس الأشباه و النظائر ،فإننا نلمس هذا القياس في رده على خصوم المتنبي، حيث نجده يقيس أبيات المتنبي بأبيات أخرى مشابهة لها ونجده في بعض المواقف يركز كثيرا على المعاني دون الألفاظ،وفي بعض أبيات يكتفي بذكرها فقط وهنا نجده يتفق مع الآمدي.

ولكن من خلال نقده لخصوم المتنبي يتضح أن الجرجاني وقع في الخطأ، و هذا ما أشار إليه مندور بقوله" وأما السرقات ، فالجرجاني بعد أن بسط فيها كثيرا من المبادئ السليمة لم يأخذ بها ،بل اكتفى بأن استبعد اللفظ،ثم راح يجمع كل ما قيل مشابها لمعاني الشاعر...حتى جاء هذا الجزء الخاص بالسرقات خاليا من كل درس أو تحقيق أو تطبيق للمبادئ ،وإن يكن لصاحبه فيه فضل،فهو فضل الجمع"[45]

من خلال ما سبق يمكننا أن نقول أن الآمدي و الجرجاني اتفقا في بعض المواقف لكن الجرجاني زاد عن سابقه لكن على حد تعبير مندور كلاهما قيد نظرية السرقة بأصوله التي جاء بها مفهومه واتفقا من ناحية أن الآمدي يعدها من مساوئ الشعراء والجرجاني يراها عيب وداء قديم.

[45] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و نهج البحث في اللغة و الأدب،ص295

قضية عمود الشعر:

من أهم المقاييس التي اهتم بها نقاد في القديم فهي أداة لتقييم الشعر و الشاعر، و نجدها مقترنة بقضية الطبع و التكلف ،التي لم أشأ أن أشير إليها كقضية منفردة تفاديا لتكرار الأمور و الخلط بينها،أما فيما يخص عمود الشعر فهي قضية تجمع أهم قواعد الشعر من الأسلوب و اللغة والألفاظ والمعاني و...الخ.

عند الآمدي:

لقد ساهمة الخصومة التي أثارها أنصار أبي تمام على أنصار البحتري ،في ظهور هذا المصطلح وأثبت الآمدي، قدم هذا المصطلح عندما وظفه في مقدمة كتابه" الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري"عندما كان يحاج من ذهب إلى المساواة بين الشاعرين بقوله:" البحتري أعرابي الشعر،مطبوع،وعلى مذهب الأوائل ،و ما فارق عمود الشعر المعروف،وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ،و وحشي الكلام"[46] أما عن أبي تمام قال"أبا تمام شديد التكلف،صاحب صنعة ويستكره الألفاظ و المعاني ،و شعره لا يشبه أشعار الأوائل،ولا على طريقتهم ،لما فيه من الاستعارات البعيدة ،و المعاني المولدة"[47] و ما نلاحظه من خلال هذين القولين أنه صنف الشاعرين ،و جعل البحتري من أهل الطبع لأنه بعيدا عن وحشي الكلام و قريبا من الأسلوب السهل ،و أبي تمام من أهل التكلف لأنه اعتمد على الغموض و ابتعد عن أشعار الأوائل و خلطه بالصنعة وهذا من ناحية الألفاظ و المعاني.

[46] الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ،الموازنة ين شعر أبي تمام و البحتري،ص4

[47] المرجع نفسه، ص5

كما ذكره في موضع آخر عند ما سئل البحتري عن نفسه و عن أبي تمام فقال"كان أغوص على المعاني مني،و أنا أقوم بعمود الشعر منه "[48]وبهذا القول نجد البحتري ينسب عمود الشعر إلى نفسه،ثم يأتي بعده الآمدي ليوضح مواصفات صاحب عمود الشعر أو بالأحرى مكوناته بقوله" ليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي ،وقرب المأخذ ،و اختيار الكلام،،و وضع الألفاظ في مواضعها وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله،و أن تكون الاستعارات و التمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ،فإن الكلام لا يكتسي البهاء و الرونق إلا إذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحتري" فمن هذا القول يتضح لنا أن شعر البحتري فيه نصيب من الصنعة لكن في حدود معينة وبتالي حتى الآمدي يتبع هذا الطريق إذا كانت الصنعة جائزة في حدود خالية من المبالغة و التكلف.

وقد سبق أن اتهم الآمدي بانحيازه للبحتري، وذلك راجع إلى كثرة دفاعه عن هذا الشعر، ونلمس هذا الانحياز إن صح التعبير من خلال نظرته إلى عمود الشعر، فهو يراه من زاوية أن شعر البحتري مثال يحتذى به في الشعر القديم.

أما من ناحية الأسلوب فنجده أيضا عند البحتري وأنصاره"الشعر أجوده أبلغه،و البلاغة إنما هي إصابة المعنى و إدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة في التكلف "[49]

أي أنصار هذا المذهب يناشدون بجودة المعنى وسهولة اللغة و وضوحها و خلوها من كل ما هو وحشي وغريب، ويرى الآمدي في من تطغى على أسلوبه الفلسفة وحكمتها قد يكون فيلسوفا أو حكيما ،لكن ليس شاعرا فهو يدعم كل ما له علاقة بالتراث الأدبي العربي لأن"حسن التأليف و البراعة اللفظ يزيد معنى المكشوف بهاء و حسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن و زيادة لم تعهد وذلك مذهب البحتري"[50]

[48]الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ،الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، الصفحة 12

[49] المرجع نفسه، الصفحة 424

[50]الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر ، الصفحة ،425

وفي الأخير ما علينا إلا أن نقول عن الآمدي اختار شعر البحتري، وجعل منه نموذجا لقواعد عمود الشعر عنده فهو بالكاد لم يتحدث عن أبي تمام إلا في مواضع كان يقارن فيها بينه وبين البحتري أو في مواضع أخرى كان يعيبه في بعض استعمالاته في الشعر كالألفاظ و الاستعارة ،كما أننا نرى في الآمدي ،ميله كثيرا إلى صناعة الشعر التي تجمع بين جودة و حلاوة اللفظ وصحة التأليف، و إن كان فيها جزء من الصنعة المسموح بها.

عند الجرجاني:

إن المطلع على كتاب الوساطة ،يلاحظ أن الجرجاني قد أبلى اهتماما بهذه القضية ،في باب واسع من ناحية أنه لم يقيدها بالقديم كما فعل سابقه فقط،بل تركه حرا ليتمكن من الإحاطة به من كل الجوانب(بصفة شاملة)، فقد حاول الجرجاني أن يستزيد أيضا في هذه القضية في بعض الخصائص .

كما أشار إلى هذا المصطلح و بعض الخصائص"كانت العرب تفاضل بين الشعراء ،في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ،و جزالة اللفظ و استقامته،و تسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ،وشبه فقارب ،و بده فأغزر،و لمن كثرت سوائر أمثاله و شوارد أبياته،و لم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع و الاستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض"[51] ففي هذه المقولة ذكر لبعض خصائص عمود الشعر والتي نجده يتفق، فيها مع الآمدي مع اختلاف في ذكر المصطلحات ،ثم يزيد عليها مصطلحات جديدة.

ونجده يتفق مع الآمدي في نظرته إلى شعر البحتري، من منظور عمود الشعر بقوله"و إذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب ،و عظم غنائه في تحسين الشعر ،فتصفح شعر جرير وذي الرمة في القدماء،و البحتري في المتأخرين"[52] ولا نحصر اتفاق الناقدين في هذا الموقف فقط بل نجده حتى

[51] عبد العزيز الجرجاني ،الوساطة بين المتنبي وخصومه،الصفحة34

[52] علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي و خصومه، الصفحة 24-25

في انتساب البحتري إلى أهل الطبع "فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع...فاعمد إلى شعر البحتري [53]"

ونختم هذه القضية برؤيتنا لهذين الناقدين أنهما اتفقا في الخصائص، مع اختلاف في المصطلحات،أما رؤية الآمدي كانت مقيدة بالشعر القديم، على خلاف الجرجاني فنظرته جاءت شاملة، تميل نوعا ما إلى الحديث إن صح التعبير.

- **من منظور محمد مندور:**

لم يكن محمد مندور شاعرا بل كان أديبا وناقدا أدبيا ،من النقاد الذين ظهروا في العصر الحديث و هو صاحب كتاب النقد المنهجي عند العرب ، و الذي كان موضوع رسالته لنيل شهادة الدكتوراه ،كان من محبي النقد و النقاد العرب خاصة ابن سلام،و الآمدي ،و الجرجاني و على سيرة هؤلاء النقاد ،نجد كل واحد منهم اهتم بقضايا نقدية معينة، منهم من اتفق و منهم من اختلف و نحن بهذا الصدد نبحث عن مواطن الاختلاف و الاتفاق ، وبما أن مندور كان ناقدا فلم نجد لديه قضايا نقدية خاصة به ،لكن لديه آراء نقدية تحوم حول تلك القضايا التي اهتم بها النقاد السابقين.

ابتدأ كتابه برأيه حول قضية أصالة النقد الأدبي، فقال عنه "نشأ عربيا و ظل عربيا صرفا ،وذلك لأن أساس كل نقد هو الذوق الشخصي، تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية [54]" و هو بهذه المقولة يشير بأن النقد ،كان منذ الأزل عند العرب ،وبقي على أصالته، كما أنه يدعم فكرة ضرورة الذوق في النقد ،بالإضافة إلى ذلك نفى النظرية التي تقول أن نقد علم ،"النقد ليس علما ولا يمكن أن يكون علما"[55] فهو يرى أن العلم يقوم بذاته وفق مبادئ تقوم عن دراسات في الميدان.

[53] المرجع نفسه، الصفحة 24

[54] محمد مندور ،النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة،ص 11

[55] المصدر نفسه،الصفحة نفسها

ثم انتقل إلى نقد النقاد مبديا رأيه سواء بالسلب أو بالإيجاب وفي بعض الأحيان يتوسط، ابتدأ أولا بابن سلام الجمحي و اختلف معه على طريقة تقسيمه للشعراء، حسب الزمان و المكان والفن الأدبي، ففي نظر محمد مندور أن هناك ما هو أهم من هذه المبادئ، لأن الزمان في تغير مستمر و المكان لم يساهم أيضا في اتساع رقعة الشعر، لأن هناك شعراء كانوا يقيمون في نفس البيئة و يعايشون نفس الظروف و نظرتهم غير متباعدة ،لأنهم اتخذوا من الشعر نافذة يعبرون من خلالها عن مآسيهم،لكن فيما يبدو أن ابن سلام كان مقتنعا برأيه ، و تقسيمه وبنا على أساسه النقد الأدبي ،مبينا أن النقد الأدبي أسبق من التاريخ الأدبي، و على هذا الأساس انتقل محمد مندور إلى الحديث عن التاريخ الأدبي، في الدراسات الحديثة غير النقد الأدبي، كما فرق بين النقد الأدبي و التاريخ الأدبي، و جعل من الأول فن و جوهر كل الدراسات الأدبية و، جعل من الثاني مؤرخ للنقد الأدبي و دراساته ،ففي نظره أن الإبداع هو ملكة في الشخص المبدع، تبدأ من الإبداع إلى التذوق و بالتالي النقد "فقد وجد النقد الأدبي ملازما للشعر"[56] ويرى محمد مندور أن النقد الأدبي ،نتاج تلك الرؤية المباشرة ،أو التأثر الذي رأى فيه لانسون أنه أساس النقد(النقد التأثري) ، إلا أن محمد مندور خالف لانسون في شيء، و هو أن النقد الذي كان عند الجاهليين و الأمويين نقد ذوقي، يقوم على إحساس فني صادق وهذه حقيقة ،لكن رأى فيه أنه قائم دون منهج و تعليل ،فعماد النقد الصحيح و الأدب هو الذوق و المعرفة و قال عن التعليل بأنه يحتكم إلى العقل ولا نجده إلا عند شخص ناضج عقله حتى يمكنه من"التمييز و التقدير و المراجعة و التحديد،ليصبح إحساسنا أداة مشروعة للمعرفة"[57]

ثم عاد مندور ليناقش الشروط التي رأى فيها ابن سلام، ضرورة توفرها في الناقد وهي الدربة والممارسة ليتفق معه في هذا الرأي ،ويختلف معه في باقي الشروط،أرجع ابن سلام قلة الشعر في بعض القرى إلى قلة، الحروب وفي هذه الرؤية انتقده مندور بقوله"الشعر ليس كله في الحرب و لا هو

[56] المصدر نفسه،ص15

[57] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة،الصفحة 17

قاصر عليها بل إن فيه مصادرة على المطلوب فليس بصحيح أظن الشعر كان نادرا في مكة مثلا خصوصا بعد الإسلام"[58] كما لم يؤيده عندما وضع أسس للمفاضلة ،والتي حصرها في قوله "كثرة شعر الشاعر،تعدد أغراضه،جودته"[59] ففي رأي مندور أن "الكم ليس مقياسا صحيحا لقيم الشعراء"[60]

ثم ختم آراءه بقول إن ابن سلام لم يتقدم بالنقد الفني إلى الأمام، لينتقل بالحديث إلى ابن قتيبة الذي أشار، إلى كتابه الشعر و الشعراء بأنه يجمع بين التاريخ و النقد ،لينتقده مندور بأنه تناول المسائل بصفة عامة، تم اختلف معه في قضية تعصبه للقديم ،ونظرته التي كان يرى أن كل قديم حديث في زمانه، فمندور يرى في هذه الرؤية تعميم و غياب أساس التفضيل، فالشعر القديم أفضل من الشعر العباسي، نبع من نفس عايشت حياة قاسية(مصدر هذا الشعر شعور صادق)،أما الحديث فقد صدر من باب الفن و التقليد، أي بقي مقيدا بالقديم مثل البكاء على الأطلال ،وفي هذا الرأي أختلف معه مندور في هذا الرأي،أنه ليس هناك مانع من أن يمدحوا القصور و يصفونها،لكن ابن قتيبة أراد شعار حديثا يحمل في طياته صورا غير بعيدة عن القديم،وهنا أيضا نجد اختلافا لمندور مع ابن قتيبة، بقوله"غلبة التقليد على شعرنا ابتدأ من العصر العباسي ،و طغيان المديح عليه تكسبا به فهذه الظاهرة المشئومة، قد ذهبت أحيانا كثيرة بأصالة الشاعر و قطعت العلاقة بين شعره و حياته ،بحيث يصعب أن نجد نفوس الشعراء في دواوينهم و إن وجدنا بعض من خصائصهم الفنية."[61]

ثم انتقل مندور إلى الحديث عن الروح العلمية و الذوق الأدبي، عند ابن قتيبة فهما ميزتان اختص بهما هذا الأخير ،فالروح العلمية اعتمدها في تصنيفه للشعر و الشعراء ،أما الذوق فقد قام بإعماله في الحكم على النماذج الشعرية، مما ساعد في فتح أبواب النقد في وجهه ،وهذا لقلة خبرته في هذا الميدان رغم محاولته في الحفاظ عل هذا الذوق سليما.

---

[58] المصدر نفسه، الصفحة21

[59] المصدر نفسه،الصفحة 20

[60] المصدر نفسه ، الصفحة 21

[61] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة ، الصفحة 27

أما فيما يخص القصيدة، كما قلنا سابقا فقد أراد ابن قتيبة الحفاظ على كل ما هو من التراث القديم، خاصة المدح لكثرة هذا النمط في ذلك الزمن، وكأن رؤيته للقصيدة كانت مجرد خلاصة، ما سمعه من أهل الأدب وفي نظره "المدح هو الذي فكر في أن يبدأ بذكر الديار و الحبيبة و السفر وما إلى ذلك "[62] ليختلف معه مندور بقول صريح "ليس صحيحا "[63]لأن القصيدة عند ابن قتيبة كانت تخضع إلى التقاليد الموروثة ،التي كانت تقيد الشعر عن التنوع في الأغراض ،و الخروج عن ما ذهب إليه الأولون .

ثم نذهب إلى تقسيم الشعر عند قتيبة ،لنجده قد قسمه إلى أربعة أضرب "إن الشعر على أربعة أضرب ، ضرب حسن فائدة في المعنى ،وضرب جاد معناه و قصرت ألفاظه عنه ،و ضرب تأخر معناه و تأخر لفظه"[64] اختلف معه مندور ورأى أن تقسيم ابن قتيبة، خاص بالمعاني اللغوية والدلالية و ذلك لأهميتهما في قول الشعر ،كما أنه لم يقتنع بهذه النظرة لأن أحكامه قيمية تقريرية مطلقة ،تفيد في الدراسات البلاغية لأنها لم تبنى على توافق بين اللفظ و المعنى .

ثم نجد انتقاد آخر من طرف مندور في قضية التكلف و الطبع، وتقسيمه للشعراء حسب هذه القضية ،فابن قتيبة قد عرف كل قسم على حدا "فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقافة ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والخطيئة"[65] و هنا نرى ابن قتيبة يجمع بين الثقافة والتقويم ،وبالتالي خلط بين التكلف والثقافة ونقد مندور، جاء على اثر خلطه بين الأشياء وقال"عيبه دائما هو الأخذ بالمنطق السميك حيث كان الواجب أن يأخذ بالحس الأدبي ليقيم المفارقات و يفصل بين الأحكام "[66]لأن ابن قتيبة لم يوسع النظر في الخلق الأدبي ،و مراحله وضروبه كما استبعد محمد

[62]المصدر نفسه ،ص32

[63]المصدر نفسه، الصفحة 32

[64]المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[65]محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، الصفحة 36

[66]المصدر نفسه ، الصفحة 38

مندور، فكرة أن الشاعر ينظم الشعر إلا في حالة انفعاله "الانفعالات لا تخلق شعرا ساعة احتدامها"[67]

كما أشار إلى ابن قتيبة لم يفهم معنى التكلف والطبع، وأن الشعر يتكون عبر مراحل لم ينتبه إليها ابن قتيبة "فالشعر طبع و دافع و إرادة و صناعة و جهد"[68]فالفن أو غير الفن (الأمور الأخرى)من المستحيل أن تأتي هكذا عن وحي خاطر.

ثم ينتقل مندور لينتقد ابن قتيبة عن تعريفه للشعر المطبوع ،قائلا"المطبوع من الشعراء من سمع بالشعر و اقتدر على القوافي ،و أراك في صدر بيته عجزه،وفي فاتحته قافيته و تبينت على شعره رونق الطبع و وشي الغريزة ،و إذا امتحن لم يتلعثم و لم يتزحر"[69]هنا قال مندور إن ابن قتيبة أصاب نظريا وأخطأ عمليا ،كما لم يؤيده في رؤيته للارتجال أنه دليل الطبع ،فمن هنا استنتج مندور أن ابن قتيبة "رجل تفكيره خير من ذوقه و نزعته خير من عمله"[70]بدليل أنه أصاب في دعوته إلى الاحتكام بالرأي الشخصي ،و في تعريفه للمتكلف و المطبوع ،و لكنه أخطأ في إصدار الأحكام و تذوق الشعر و خلط بين المتكلف و الثقافة ،و زيادة على ذلك خلط بين الطبع و الارتجال وغض بصره عن الإحساس و العقل ،كما أشار إلى أن ابن سلام لم يأتي بالجديد بل بقي النقد على حاله، و ابن قتيبة ليس ناقدا بل مؤرخ.

ثم نأتي إلى البديع لنجد فيه أيضا شخصيتان بارزتان في مجال الأدب و الشعر ،هما ابن المعتز وابن قدامة ،فالأول اعتنى بالبديع وحاول التجديد بخصائص كانت أساس مذهبه الجديد، بسبب سيطرة التقاليد الشعرية التي غض النظر عنها الإسلام،أما التجديد الذي أراده العرب خارج عن إطار القدماء الذين تأثروا بتلك التقاليد،وكانت البداية مع أبو نواس، لكنه فشل ثم تلاه أبو تمام في المحاولة "يقول

[67] المصدر نفسه،ص38

[68] المصدر نفسه، الصفحة 39

[69] المصدر نفسه، الصفحة 43

[70] المصدر نفسه، الصفحة47

الأفكار القديمة في صياغة جديدة "[71]لكنه لم يستطع الإفلات من سيطرة العقلية القديمة، و أوقعهم في خطأ الصنعة و التكلف وقال عنه مندور "مذهبه كان أقوى من طبعه و أن صنعته كثيرا ما أفسدت ذوقه"[72] وفي نظر مندور السابقين لم يأتوا بفارق كبير في الشعر، إلا في الصياغة لكن المحدثين زادوا عنهم و تناولوا الأمور وفق دراسات تحليلية ،أمثال ذلك ناقدنا ابن المعتز فقد جعل من البديع علما ،و أخذ به من الناحية الفنية وبأسلوب منهجي على عكس الذين رأوه مجرد مصطلح.

انتقد مندور ابن المعتز بعد اطلاعه على مصطلحات البديع، بأنه متأثر بأرسطو حيث قارن بين المصطلحات، عند ابن المعتز و أرسطو و وجدها متشابهة ثم قال عنه "لم يأخذ من أرسطو إلى مجرد التوجيه العام، و الفطنة إلى طريقة تحليل هذه الظواهر التي طبقها على اللغة العربية "[73]

وما نلاحظه في هذه الجزئية إن مندور لم ينتقد ابن المعتز كثيرا ولم يذكر له عيوب.

ثم انتقل إلى قدامة لينتقده في تقسيماته التعليمية، التي لجأ إليها في كتابه نقد الشعر و أبدى رأيه بعدم الإعجاب ،كما اتهمه بأنه تأثر بأرسطو و نظريته و قال عنه (لم يؤثر لحسن الحض تأثيرا كبيرا في النقد، وأن محاولته ظلت شكلية لم تدخل يوما في تيار النقد العربي)[74]

لكن مندور لم يعتبر كتاب نقد الشعر من الكتب النقدية ،رغم اعتماد الكثير من الدراسات القديمة وحتى الحديثة عليه، وأضاف إلى ذلك حتى كتاب البديع لابن المعتز .

ثم انتقل إلى الحديث عن الخصومة الفنية التي قامت بين القدماء و المحدثين، ليفندها بأنها لم تقم بين القدماء و المحدثين، بل كانت "بين أنصار أبي تمام و البحتري وبين خصومه كأن هذا الشاعر قد جدد الشعر العربي تجديدا حقيقيا"[75]

---

[71] محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة،ص54

[72] المصدر نفسه، الصفحة 58

[73] المصدر نفسه، الصفحة 63

[74] محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة ، الصفحة 76 بتصرف

[75] المصدر نفسه ،ص75

ورأى مندور أن هذه الخصومة ساهمت في ازدهار النقد ،و أنصار القديم تعصبوا لهذا المذهب من ناحية أسبقيته ،لا من ناحية النقد الأدبي، ثم ينتقل إلى قضية تهمة الكفر وهنا سيظهر رأي مندور لا متفق ولا مخالف"تهمة الكفر لم تأثر إذن في الحكم على شعر أبي تمام من الناحية الفني و إنما أثرت في حياته "[76]بمعنى لم تعق أسلوبه الفني في الشعر أي مسيرته الأدبية بقية مستمرة لم تتوقف بل تأثيرها كان على حياته الشخصية .

ثم شرع يذكر آراء الصولي حول صعوبة شعر أبي تمام، ولم يوافقه في شروحه التي قدمها لأن بعض العلماء لم يكونوا في حاجة إلى شرحه، لأن العلماء الذين خلفوه وجدوا ما يعيب"فهمه وشرحه"[77]

ثم خالف الصولي في قوله أن الخصوم ساهموا في شهرة أبو تمام ورد عليه "إن نهمل التعصب للقديم لقدمه و التحزب ضد أبي تمام لأصله النصراني الذي لا نستطيع أن نجزم فيه بشيء كما نهمل الانصراف عن شعره لصعوبته ومحاولات الغض من قدره التماسا للشهرة-نستطيع أن نرى الخصومة في عناصرها الحقيقة"[78] لأن مندور يرى في ذلك مجرد أسباب كاذبة، بينما الأسباب الحقيقية فتتمثل في محاولة المحدثين التجديد، و تأرجحهم بين الخطأ والصواب ونذكر بعض الأمثلة[79] التي حللها مندور.

قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيرِ رَطْبًا و يَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي

وقول بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤوسِنا وَ أَسْيافُنَا لَيلٌ تَهَاوَى كَواكِبُه

[76]المصدر نفسه ، الصفحة 72

[77]المصدر نفسه، الصفحة 84

[78]المصدر نفسه، الصفحة 86

[79]المصدر نفسه، الصفحة نفسها

فقد شبه امرؤ القيس قلوب الطير ،التي افترسها العقاب بالعناب و الحشف البالي ،بمعنى العناب للقلوب الرطبة و الحشف للجافة، وفي نظر محمد مندور أن هذا التشبيه قريب نوعا ما من الإحساس ، ثم انتقل إلى بشار فهو يشبه النقع، وقد انعقد فوق الرؤوس و السيوف تضرب بالليل تتهاوى كواكبه ،وهنا يرى مندور أن هذا التشبيه بعيد عن النفس و الأحاسيس، وخلاصة مندور أن أنصار القديم هم الأحق، لأن الجاهليين كان شعرهم أقرب وأصدق أما المحدثين فهم يبعدون المعنى و يأتون بالغريب.

ثم يدرج جزء من الموازنة الآمدي بين أبي تمام و البحتري، ففي نظره أن أبو تمام من أنصار الحديث، ومن أهل الصنعة الذين اهتموا بصورة و اللفظة الغريبة و التعمق في المعاني، و أما البحتري فقد كان من أهل القديم ،من أصحاب الطبع الذين اهتموا بالعناية بالعبارة و اختيار الألفاظ و الابتعاد عن الزخرف وقد خلفت هذه الخصومة، موجة من المؤلفات منها ما بقي ومنها ما ضاع،ومن أهم ما بقي كتاب الموازنة الذي جاء في نظر مندور فاصلا بين الفريقين.

و قد أظهر الصولي في كتابه أخبار أبي تمام تعصبه رغم وجود "ما يدل على انحيازه للحديث "[80]

و لم يتفق معه في التعصب و رأى أن "سبيله إلى الدفاع عن شاعره هو سبيل القياس بالقدماء أو السابقين على أبي تمام قياسا يدل على فساد ذوق الصولي وعدم فطنته للمفارقات الأدبية الدقيقة ثم على مباهاة ثقيلة بحفظه لأشعار السابقين ومعرفته بأخبارهم"[81]كما اختلف معه في طريقة نقده وتذوقه و احتجاجه في بعض الأمثلة [82]:

قول أبي تمام :

مَازَالَ يَهْذَى بِالْمَوَاهِبِ دَائِبًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومُ

[80]محمد مندور ،النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة،ص93

[81] المصدر نفسه،ص94

[82]المصدر نفسه، 94

أبو نواس :

جُدْتُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى قِيْلَ مَا هَذَا صَحِيْحٌ

و المحموم أحسن حالا من المجنون.

لأن هذا يبرأ فيعود صحيحا كما كان، و المجنون قلما يتخلص.ففي هذا رأى مندور حجة سخيفة لأن المجنون والمحموم لا يستويان.

ولم يتفق مندور مع الصولي و الآمدي عندما تعديا إلى الاحتجاج على القرآن حيث يقول "الله جلت قدرته ليس في حاجة إلى أن يدافع عنه الفقهاء هذا الدفاع السخيف"[83]

و التمس في منهج الصولي الفساد و الإسراف و الاستغلال للسابقين لإظهار ثقافته.

ثم خصص فصلا بالآمدي و موازنته بين الطائيين ،وبمجرد دخولنا إلى هذا الفصل نلتمس غالبية اتفاق محمد مندور مع الآمدي ،ونرى أنه ابتدأ بإعجابه بمنهجه وفطنته "بلا ريب نغمات جديدة في تاريخ النقد العربي "[84] فالآمدي لم يكن منحازا إلى أي مذهب نظرا لعدم اتفاق القدماء في عدة قضايا ،مثل قضية تفضيل شاعر على آخر و تقسيمهم إلى طبقات و برغم من كل هذا فلم يسلم ناقدنا من الأفواه الناقدة، لأن روحه العقلية كانت مخالفة لخطته و كان كتاب الموازنة خال من التعصب في نظر محمد مندور كما اتفق معه في قضية الذوق وقال فيه"الذوق هو المرجع النهائي في كل النقد"[85]رغم خطورة الذوق في إصدار الأحكام.

واختلف محمد مندور مع اللاحقون الذين اتهموا الآمدي بالتعصب ضد أبو تمام ،و وصف هذه التهمة بالظلم في حق الآمدي "هذا ظلم يجب أن نصلحه"[86]ورأى في الصولي أحقية اتهامه.

---

[83]محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب واللغة،ص 98

[8484]المصدر نفسه، الصفحة 99

[85]المصدر نفسه،الصفحة 102

[86]المصدر نفسه، ص104

فالآمدي لم يكن معاصرا لأي من طرفي الخصومة وهذه الأخيرة جرت بعد موتهما بكثير

و رؤية مندور لهذا المؤلف كدراسة فاصلة ،حول مذهبي هذان الشاعران بمنهج علمي، وذلك بعد إطلاعه على الدراسات السابقة ،وعلى دواوين كل منهما وهذا دليل على ما سماه محمد مندور بالنقد المنهجي "المراحل الأولى للنقد المنهجي المستقيم،و امتلاكه روح النقد العلمي الذي ينظر في صحة نسبة الشعر"[87] ولكن بالرغم من كل هذه المحاسن فلابد من أن نجد ما يعيب ناقدنا وبعض الأخطاء التي وقع فيها مثل :

1. "كان يتعمد حذف الغريب و الحوشي من شعره ليقربه من فهم من يمتدحه إلا أن يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها ، و يرى ذلك أنفق له فنفق وبلغ المراد والغرض"[88]
2. عدم فهمه لمعنى البيت [89]

وَ إِذا فَقَدْتَ أَخًا ولَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا ولَا صَبْراً فَلَسْتَ بِفَاقِد

وتخبط الآمدي يكمن في مفهومه لدلالة لام في (له)ففهمه بمعنى (و إذا فقدت أخا فلم تفقد دمعا له أي دمعه الذي يريقه من أجلك، و لم تفقد صبرا له، أي صبره الذي يأخذ نفسه به عند فراقك، فإنك في الواقع لم تفقده)

3. موقف آخر"يادهر قوم أخدعيك" تخبط ليبرر تعصبه أم أن هناك حقيقة أخرى تفسر هذا التخبط و التماس الحجج"[90]

و يقول محمد مندور يبرر أخطاء الآمدي بقول"نحن لا نستطيع أن نبرئ الآمدي من الخطأ أو ضيق النظرة إلى اللغة، والذي ننكره هو أن يتهم بالتعصب"[91]

[87]محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب و اللغة ، الصفحة 104

[88]المصدر نفسه ، الصفحة 120

[89]المصدر نفسه ، الصفحة 130-131

[90]المصدر نفسه ، الصفحة 143

ثم يبرر خطأه في المثال الثالث:إن الاختلاف كان يدور حول توظيف استعارة أخدعيك .

لنجد موقف مندور موقف وسط"الذي يبدو لنا أن الرجل كان صادق الذوق و أن أساس نقده هو هذا الذوق الصادق أن تخبطه في التعليل إنما كان محاولته تبرير ذوقه و هو أحيانا يصيب في تبريره و أحيانا لا يصل إلى ما يريد"[92]

4. سكوت الآمدي عن التهمة التي كانت صوبه، فانتقده بقوله "ونحن بعد نتهم الآمدي بالتهاون و التماس الأعذار لما هو واضح"[93]

واختلف معه في طريقة تقسيمه لأجزاء الكتاب، لكنه لم يأخذها بأهمية كبرى ورأى أنها شكلية لا تؤثر على المضمون.

ثم انتقل إلى الخصومة التي كانت بين المتنبي و خصومه و التي وصفها بالشخصية لا الفنية ، كما تحدث عن الحركة النقدية التي أثارتها في البلدان العربية كمصر و بغداد وفارس ثم نأتي إلى رأي أحمد أمين في مقولة أن المتنبي فيلسوفا حيث نفى أحمد أمين هذا الحكم على المتنبي بقوله"يخطئ من يظن أن لأبي الطيب فلسفة تشمل العالم وتحل مشاكل الكون"[94]ففي هذا الرأي اختلاف واتفاق مع مندور.

اتفق مع أحمد أمين في رأيه، بأن المتنبي لم يتأثر بالفلسفة اليونانية ،وهذا من ناحية العروبة والثقافة ويختلف معه من ناحية الأفكار، وارتأى أن يقسمها إلى نوعين "تفكير فلسفي تفكير أخلاقي"[95] و ذلك حسب حكم المتنبي ،فالأخلاقية تشير إلى ما ينتج عن حياته بما فيها (عروبته

[91]المصدر نفسه ، الصفحة 132

[92]محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب واللغة لمصدر نفسه ،الصفحة 144

[93]المصدر نفسه، الصفحة 148

[94]المصدر نفسه ، الصفحة 200

[95]المصدر نفسه، الصفحة 202

ثقافته و ما ورثه من القديم وما فرضه عليه المجتمع وما تعلمه)"فأول قرح الخيل المهار""و لكن حسم الشر بالشر أحزم""القتل أنفى للقتل""و ليس تأكل إلا الميت الضبع"

"إن الذيل غريب حيثما كان"[96]هذه الحكم تشمل الأفكار الأخلاقية

أما الأفكار الفلسفية ،فهي تضم تأثر المتنبي بأبي العتاهية و دخول لغة الفلسفة عن طريق الصياغة، ففي بعض أمثاله ملمس فلسفي مثل "تأبى الطباع على الناقل"،"و لكن طبع النفس للنفس قائد"،"فإن الرفق بالجاني عقاب"[97] وفي هذا الرأي أقر مندور عن المتنبي ،أن الثقافة لا تأتي إلا بالإطلاع على المؤلفات و التأثر لا يأتي إلا بالشغف و طول الإبحار في العلوم و هذا ما كان يعتمده المتنبي .

ثم انتقل إلى رأي طه حسين الذي أكد على وجود الفلسفة في أشعار المتنبي "بذور الفلسفة العلائية موجودة في شعر المتنبي"[98] وأكدها ببعض الأمثلة[99]

لما وَجَدْتُ دَواءَ دَائِي عِنْدَها هَانَتْ عَلَيّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا

ثم يأتي بعد طه حسين، الدكتور عبد الوهاب عزام بكتابه **ذكرى أبي الطيب المتنبي** الذي أحصى فيه شساعة معرفة المتنبي، و ثقافته المتنوعة وشغفه بالقراءة و اختيار صحبته، من الكتاب فقال:

أَعزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا ظَهْرُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

وبالتالي فأمر تأثر المتنبي بالفلسفة، مستبعد عند عزام نظرا لتنوع العلوم عنده وثقافته.

[96]محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، الصفحة 204

[97] المصدر نفسه، الصفحة 204

[98] المصدر نفسه، الصفحة 205

[99]المصدر نفسه ، الصفحة208-209

كما يضيف مندور أنه قد تأثر أيضا بالفرابي، الذي كان يعيش في بلاط سيف الدولة ،بجانب المتنبي و أن كل الأفكار التي نشرها في تلك البيئة ،ذات مبادئ فلسفية، ومن هنا يستنتج محمد مندور أن كل الأصابع تشير إلى أن بعض ، أشعار المتنبي مصبوغة بصبغة فلسفية و مؤيدا ذلك،ليعود إلى رأي أحمد أمين محاولا إثبات نقص رؤيته،بقوله"الأستاذ أحمد أمين قد ظلم الرجل عندما نفى عنه الصبغة الفلسفية و الثقافة الفلسفية "[100] لهذا وجب أن نمعن النظر قبل أن نصدر الأحكام.

ثم ينتقل محمد مندور إلى الحديث عن الكتاب الثاني، الذي عده من مخلفات النقد المنهجي وهو كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، لصاحبه عبد العزيز الجرجاني ليلخص منهجه في جملة"رجل يقيس الأشباه و النظائر "[101] و أبدى رأيه في الخلق الفني و تطور الشعر و لغته ،مسلما بأن الناس يتفاوتون في القدرة و الفصاحة، ثم ينتقل إلى الذوق الأدبي ليقارن بين الجرجاني وسابقه الآمدي.

ثم يتحدث عن كتاب الوساطة و تقسيماته ومنهج الجرجاني في الدفاع عن المتنبي، و هنا نجد انتقاد مندور لجرجاني في طريقة المقارنة بين المتنبي و البحتري ،مع تفضيله لهذا الأخير في مثالين لكل منهما في وصفهما للمعركة.

أمثلة[102]:

قال المتنبي :

قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَ عُنُقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولا

وقال البحتري:

فَأَحْجَمَ لما لَمْ يجِدْ فِيهِ مَطْمَعًا وَ أَقْدَمَ لما لَمْ يجِدْ عَنْهُ مَهْرَبا

[100] محمد مندور النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، الصفحة 210

[101] المصدر نفسه،الصفحة ، 256

[102] المصدر نفسه ، الصفحة285

حَمِلْتَ عَلَيهِ السَّيفَ لاَ عَزْمُكَ انْثَنَى وَ لاَ يَدُكَ ارْتَدَّت ولاَ حَدُّه نَبا

قال مندور عن هذه المقارنة أن نظرة الجرجاني كانت ضيقة و قال أيضا أنه "كان من الأصح أن يعقد موازنة بين تلك الأوصاف"[103]

ثم انتقل مندور بالحديث إلى السرقات عند الجرجاني، حيث قال القاضي أنه من السخف أن تتهم شاعرا بسرقة معنى مما يسميه"العام المشترك"[104] لكن هنا محمد مندور يعدل عن رأيه، فيما بعد بفضل حسه الأدبي لأن"المهم في الشعر هو الصياغة و الصياغة تكون بها السرقة مهما كان المعنى مشتركا أو مبتذلا"[105]

ثم أنتقده محمد مندور في إقراره لسرقة خاطئة في البيتين التاليين[106]:

قال كثير:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَها فَكَأنَّما تُمَثَلُ لي لَيْلَى بِكُلِ سَبِيلِ

وقال أبو نواس:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ في القُلُوبِ مِثَالُه فَكَأَنَّه لمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ

فالجرجاني قال في المثالين"الأول نسبيا و الثاني مديحا"[107]لكن مندور رأى أنه من الخطأ تقرير السرقة في هذين البيتين متهما إياه بعدم تطبيقه لمبادئ منهجه في السرقة.

[103] محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ،الصفحة 286

[104] المصدر نفسه ،الصفحة 286

[105] المصدر نفسه،الصفحة 290

[106] المصدر نفسه،الصفحة 291

[107] المصدر نفسه،الصفحة292

ثم انتقده في قضية الإفراط بأنه "أدخل عليها أشياء لا تدخل فيه و اعتذر عما لا يوجب الاعتذار"[108]

ثم انتقده في قضية الاستعارة لأن الجرجاني رأى في الاستعارة أنها"عليها المعول في التوسع و التصرف،و بها يتوصل إلى تزيين اللفظ و تحسين النظام و النثر"[109]فقال عنه محمد مندور بأنه لم يفلح في حكمه على الاستعارة، وحصرها فيما يرضي النفس أو يعيبها، و بالحسن والتقصير فهذا حكم لا يصح دوما و خطأه هذا بسبب منهجه الذي كان يعتمد على القياس بكثرة. ثم اختلف معه في التصغير:

مثل قول لبيد[110]

وكلُّ أُناَسٍ سَوفَ تَدْخُلُ بَينَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ

فالمتنبي فسر هذا التصغير بأنه تصغير للتعظيم ،ونجد الجرجاني قد أخطأ في فهمه 'دويهية' واعتبر تصغيرها جاء في المعنى واللفظ ،و انتقد الجرجاني بأنه راح يخطئ المتنبي وهو المخطئ.

كما أن انتقادات مندور لا تقف عند هذا الحد، بل تتعداه إلى قضايا أخرى و يجب أن نقول هذا حتى لا نقع في الخطأ ونقوم بحصرها في هذا الإطار.

[108]المصدر نفسه،الصفحة 299

[109] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، الصفحة 300

[110]المصدر نفسه، الصفحة304

الخاتمة

ونختم هذا البحث المتواضع بأهم النتائج التي توصلنا إليها وهي:

أولا: إثبات اختلاف الشعراء و النقاد من منظور نقدي لدى محمد مندور، و قضية النقد و الأصالة، و أن هذا النقد ولد عربيا و نشأ عربيا: كما يقرر هذا الحكم الدكتور محمد مندور نفسه.

ثانيا: ساهمت العصور و الأزمنة في تطور النقد، من اعتماده على الذوق و الإحساس فقط، إلى اعتماده على نضم و أسس، مع الحفاظ على الذوق الأدبي بشعور نفس الإنسان العربي.

ثالثا: تمايزت آراء النقاد فكل واحد منهم أتى برأيه و معرفته، فمنهم من وضعه في طبقات وفق معايرا غامضتا، ومنهم من قسم الشعر و الشعراء زمنيا هادف إلى إظهار صورة لعصره من خلال أفكاره و انطباعه، دون أن ينتبه إلى أحكامه إن كانت تصب في صلب الموضوع أم خرجت عن المألوف، و منهم من حاول التجديد في الأدب فنيا، و ما نحج منهم إلا الذي حط أفكاره في الصميم ،مرتكزا على التحليل و التعليل و التفسير و استحسان للذوق كبعض أعمال الجاحظ في رؤيته لقضية المعاني و الألفاظ، و ما احتكم به إلى الأصول اللغوية و البلاغية.

رابعا: لقد وفق الدكتور محمد مندور إلى ابعد حد في قراءاته للموروث النقدي لدى العرب ،واستطاع أن يبين أن للعرب نقدا منهجيا يعتمد على توارث العرب، لطريقة أدبية و لغوية و ذوقية في فهم أدب العرب ولا سيما الشعر منه خاصة.

قائمة المصادر و المراجع

أ. **المصادر:**

- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، نهضة مصر للطباعة،القاهرة،1996

ب. **المراجع:**

- ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف،1982
- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، ط4، 2005
- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1971
- أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 1967
- أحمد شايب،أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية،ط10، 1994
- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، ط1،بغداد،1989
- الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف،ط4، 1960
- الآمدي أبي القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء و كناهم و ألقابهم و أنسابهم وبعض شعرهم، تصحيح ف كرنكو، دار الجيل، ط1991،1
- البغدادي أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب، تاريخ مدينة السلام و أخبار محدثيها و ذكر قطانها العلماء من غير أهلها و واريديها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغريب الإسلامي، بيروت، 2001
- بدوي أحمد، القاضي الجرجاني، دار المعارف،ط2، 1980
- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي،ط7، 1998

- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،ط2، مصر،1965
- حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في أثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسة و النشر و التوزيع، بيروت، 1996
- خالد يوسف، قراءات و رؤى في النقد و الأدب عند العرب مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 1998
- داود غطاشة،محمد أحمد صوالحة، النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، دار الفكر،ط1، 2009
- رجاء العيد، المذهب البديعي في الشعر و النقد، الناشر منشأة معارف الإسكندرية ط1، 1998
- زكي مبارك،النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة الهنداوي،1934
- شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس دار الصادر، بيروت، 1978
- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، مكتبة الفصيلة، مكة المكرمة، 2004
- عبد القادر حسين، المختصر في البلاغة، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، 2001
- عبد الله ابن المعتز، البديع، دار المسيرة، ط3، بيروت، 1971
- عبد الله ابن المعتز، الديوان، دار الصادر، بيروت
- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع ، بوزريعة الجزائر، 2002

- علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي و خصومه، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، 1966
- علي جواد طاهر، منهج البحث الأدبي، مكتبة النهضة، ط2، العراق، 1972
- محمد بن سلام الجمحي،طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت،2001
- محمد زكي عشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد، دار النهضة العربية،بيروت
- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف الإسكندرية، القاهرة، 1986
- محمد مصطفى هدارة،مشكلة السرقات في النقد العربي،مكتبة الأنجلو المصرية،1958
- مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملاين،ط6، بيروت، 1991
- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة 1998
- وحيد صبحي كبابه، الخصومة بين الطائيين و عمود الشعر،منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق،1997
- ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغريب الإسلامي، ط1، 1993

ج. المجلات:

- إبراهيم صالح، ميمية القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،المجلد79 ،الجزء الرابع، 2003
- بن فرحات إدريس، العيد جلولي، مفهوم النقد و خصائصه عند عبد السلام مسدي،مجلة الأثر، العدد26، سبتمبر 2016

د. الرسائل الجامعية:

- عمر بن مجاهد، محددات النقد الأدبي القديم عند العرب دراسة تحليلية لكتاب النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور، مذكرة ماجستير في النقد الأدبي القديم، كلية الأدب، جامعة وهران، الجزائر،2014-2015
- منال بن قسيمة، قراءة في كتاب الفكر النقدي الأدبي المعاصر لحميد الحمداني مذكرة الماستر،كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017

فهرس المحتويات

شكر	
إهداء	
مقدمة.....	أ
مدخل.....	01
الفصل الأول : النقد المنهجي وبدايته	
1-1-تاريخ النقد المنهجي.....	12
2-رواد النقد المنهجي.....	28
2-1- ابن المعتز.....	28
2-2- الآمدي.....	34
2-3- عبد العزيز الجرجاني.....	37
الفصل الثاني : مواطن الاختلاف والاتفاق	
من منظور الجالحظ.....	50
منمنظور الآمدي.....	56
من منظور محمد.....	72
الخاتمة.....	88
قائمة المراجع.....	89
الفهرس.....	93

الملخص:

تبين هذه الدراسة كرونولوجيا النقد الأدبي بداية من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، وقد خلّف لنا هذا النقد الأدبي تراثا عربيا خالدا بمختلف الأصناف في دراسة الشعر والنقد ونقد النقد وكان محمد مندور صاحب طرح جديد في رؤية تفيد أن العرب كانوا أصحاب تنظير نقدي أصيل يخضع إلى الدرس اللغوي والبلاغي والذوقي.

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي- الشعر والنقد ونقد النقد- محمد مندور

Résumé :

Cette étude montre une marche historique de la critique littéraire depuis l'ère préislamique jusqu'au quatrième siècle de l'Hégire.

Cette critique littéraire nous a laissé un héritage arabe éternel dans différentes classes d'étude de la poésie, de la critique et de la critique.

Et les critiques étaient différentes et « Mohamed Mandour » était l'auteur d'une nouvelle vision selon laquelle les Arabes étaient les propriétaires de la théorie critique originale soumise à la leçon de langage, de rhétorique et de gout.

Mots clés : la critique littéraire- poésie, de la critique et de la critique.- « Mohamed Mandour

Abstract :

This study shows a historical march of literary criticism from the pre-Islamic era to the fourth century of the Hegira.

This literary criticism has left us an eternal Arab heritage in different classes of study of poetry, criticism and criticism.

And the critics were different and “Mohamed Mandour” was the author of a new vision that the Arabs were the owners of the original critical theory subjected to the lesson of language, rhetoric and taste

Key words: literary criticism- poetry, criticism and criticism- Mohamed Mandour